مكتبة البنين
قسم الدوريات

حولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مصرح بإعارتها من المكتبة

العدد الأول
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

مكة وتميم

البروفيسور م . ج . كستر

ترجمة دكتور يحيى الجبوري

أستاذ بقسم اللغة العربية ووكيل كلية
الانسانيات والعلوم الاجتماعية

لتاريخ تميم في العصر الجاهلي أهمية خاصة . والمعلومات حول تميم في المصادر العربية تشير بوضوح إلى العلاقات الوثيقة بين زعماء تميم وملوك الحيرة . وهنالك مركز آخر ارتبطت به تميم بعلائق وثيقة ، ذلك المركز هو مكة ، ومن الممكن القول أن تميما لعبت دوراً ذا أهمية في تاريخ مكة في العصر الجاهلي ، وكانت تساهم كثيراً في دعم نفوذ هذه المدينة في المجتمع القبلي لشبه الجزيرة العربية .

إن تمحيص العلاقات بين مكة وتميم ، ربما يلقى بعض الضوء على أُصول الحكم القبلي بقيادة مكة ، وعلى السياسة الملكية مع القبائل المحيطة بها . إن تقصى هذه المعلومات ربما يدعو إلى إعادة النظر في بعض الآراء المتعلقة بصلة مكة بالقبائل ، وتفسير بعض الأحداث التي حصلت في فترة الصراع بين النبي ومكة .

إن بحث العلاقات بين مكة وتميم يمكن أن يمهد له ببعض الملاحظات حول علاقة القبائل العربية بالحيرة في أواخر القرن السادس .

كان النصف الثاني من القرن السادس عصر تبدل أساسي في العلاقات بين القبائل في شمال شرق الجزيرة وبين الحيرة ، وكان لانكسار قوات الحيرة في المعارك التي تخوضها هذه القبائل أن قوض هيبة حكام الحيرة في نظر هذه القبائل . وقد أدي منح امتياز حراسة القوافل لبعض رؤساء العشائر إلى إثارة الحسد والخلاف بين القبائل وقاد إلى التصادم فيما بينهم ، ثم أدى السخط القبلي إلى قيام الثورة ضد الحيرة ، ولهذا كثرت الإ غارة على قوافل الحكام ، وصارت طرق التجارة غير آمنة ، لقد بدأ حكام الحيرة يفقدون السيطرة على الطرق التجارية وتتضاءل هيبتهم .

(*) الاصل :

Mecca and Tamim (Aspects of their relations) by: M. J. Kister. Journal of the Economic and Social History of Orient. Vol. VIII, Part, II, 1965, Leiden.

إن ضعف أمراء الحيرة وأسيادهم الفرس كان أمراً واضحاً ، فكثيراً ما كانت تنهزم الحاميات الفارسية والقبائل الموالية لهم في المعارك التي تخوضها ضد القبائل ، لقد سجل البلاذري حالة من هذا القبيل : « وأغارت بكر بن وائل على بني عمرو بن تميم يوم الصليب ومعهم ناس من الأساورة ، فهزمتهم بنو عمرو ، وقتل طريف رأس الأساورة ، فقال :

ولـــولا طرادى بالصليب لسوقت نساء أناس بين درنا وبارق(١)

وكانت المعدات التي تجهز من قبل الفرس للقبائل الموالية تأخذها القبائل المنتصرة غنائم وأسلابا (٢) .

لقد صار أمراء الحيرة يشعرون باضمحلال الامبراطورية الفارسية وتدهورها في أواخر القرن السادس ، ذلك أن النعمان آخر أمراء الحيرة بدأ يتعاطف مع العرب ، ومن المعقول أنه صار يوثق العلائق مع زعماء القبائل محاولة منه لإ يجاد أسباب مشتركة مع القبائل القوية ، وفي رواية ــ غير راجحة ــ نسبت إلى النعمان قوله : « إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم . . . ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدث نفسه » (٣) . يؤكد نولدكه وهو على حق حقيقة أن أمـــراء لخم صاروا أكثر استقلالا في موقفهم تجـــاه كسرى(٤) . ويستشهد روثستين بنص من الدينورى ذلك أن كسرى قال في محاورة : إنه إنما قتل النعمان ، لأن النعمان وأسرته وحدوا سياستهم وأهدافهم مع العرب (٥) ووفقاً لرواية سجلها أبو البقاء ، أن كسرى عزم بعد موت المنذر على ارسال حاكم فارسي مع ١٢٠٠٠ إثني عشر ألف اسوارى إلى الحيرة . ثم غير رأيه وقرر أن يعين أحد أطفال المنذر طبقاً لمشورة عدى بن زيد(٦) .

إن الشعر الجاهلي يعكس بوضوح مقاومة القبائل للحكم الأجنبي ، فالشعراء يمتدحون

---

(١) البلاذري : انساب الاشراف مخطوط الورقة ١٠٥ ب .
(٢) انظر النقـائض ص ٥٨١ : وكانت بكر تحـت يد كسرى وفارس ، قال : فكانوا يقومونهم ويجهزونهم . فاقبلوا من عند عامل عين التمر ... الخ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٦٩/١ .
(٤) T. Nöldeke: Geschichte der prser U. Araber, p. 332. N.I.
(٥) Rothstein: Die Dynastie der Lahmiden, pp. 116-117.
(٦) أبو البقاء : مناقب مخطوط الورقة ١١٠٦ .

قبائلهم بأنهم حاربوا الملوك(٧) وقتلوهم(٨) . وكان لابـد للنعمان أن يشعر بتقوض الامبراطورية الفارسية وتزايد قوة القبائل العربية ، ولابد أن يكون قد اختط لنفسه سياسة جديدة لا تنسجم والمصالح الفارسية ، وينبغي أن يكون هناك شيء من الحقيقة في شكوك كسرى ، ويبدو أن الأسرة اللخمية — في نظر كسرى — قد أُلغيت ، لأنها لم تعد أهلاً للثقة . فلم يعد بمستطاع اللخميين تأمين طرق التجارة ، وفشلوا في منع القبائل العربية من غزو ممتلكات الامبراطورية الفارسية .

يرى نولدكه أن إلغاء حكم الأسرة اللخمية يسر للقبائل العربية أن تغير على ممتلكات الحيرة (٩) . ويعتبر بروكلمان أن اندحار القوات الفارسية في ذى قار كان نتيجة لإ لغاء حكم هذه الأسرة (١٠) . أما ليفى دلا فيدا فيفترض أنه : « مع سقوط الدولة التي كانت حاجزاً بين العرب والفرس صار الباب مفتوحاً للغارات العربية » (١١) . ولكن الباب في الحقيقة كان مفتوحاً للغارات العربية بسبب انحطاط الامبراطورية الفارسية ، وارتفاع قوة القبائل العربية ، أن الحاميات الفارسية لم يكن بمقدورها منع هجمات القبائل ، وأن الجيوش الفارسية كانت قد هزمت أمام جيوش القبائل العربية .

إن القبائل العربية ، بسبب من خيبة أملها بسياسة الحيرة وسياسة فارس ، بالإ ضافة إلى وعيها بضعف الدولة الموالية (الحيرة) ، شعرت بضعف الولاء لهذه الدولة وبدأت تتطلع إلى كيان سياسي ذى قيادة كفوءة خاص بها وقد خلق هذا فكرة تحالف سياسي يرتكز على المساواة والمصالح المشتركة ذلك هو التحالف السياسي الموحد لمكة .

إن الروايات المتعلقة بفترة توطيد قوة مكة ، مع أنها شحيحة ، فهي تعطينا فكرة أولية لظهور هذه المرحلة .

---

(٧) أنظر :

Levi della vida: pre-Islamic Arabia. (The Arab Heritage p. 50).

(٨) انظر الزبير بن بكار : نسب قريش ٢٦/١ :

القاتلين من المنـاذر سـبعة في الكهف فوق وسائد الريحان

قالها في مدح بني حرملة ، وأراد بالمناذر ، النعمان بن المنذر ورهطه .

(٩) نولدكه : المرجع السابق والصفحة .

(١٠) C. Brockelmann: History of the Islamic peoples, p. 8.

(١١) ليفى دلا فيدا : المرجع السابق ص ٥١ .

ففي رواية مجملة لمحمد بن سلام (١٢) تقدم تمهيداً للقضية ، ذلك أن قريشا كانوا تجارا ، ولم تكن تجارتهم في أي حال لتتجاوز حدود مكة ، وكان التجار الغرباء يجلبون تجارتهم إلى مكة يبيعون بضائعهم لقاطني المدينة ، والقبائل المجاورة ، وهكذا كانت تجارتهم إلى أن ذهب هاشم بن عبد مناف إلى الشام ووطأ أرض قيصر ، وصار هاشم يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويطعم جيرانه ، وبذلك سمى هاشما لأنه هشم الخبز وجعله ثريداً (١٣) (كان اسمه عمرا) وكان قيصر الروم يدعوه إلى بلاطه ، وصار هاشم يتردد عليه ، وحين أدرك أنه نال رضاه ، سأله أن يعطى تجار مكة كتاباً يؤمن فيه تجارتهم وأنفسهم ، فاستجاب الامبراطور لطلبه فضمن لتجار مكة (صك الأمان) عند زيارتهم سورية ، فكان تجار مكة يجلبون الملابس والجلود من الحجاز فهي أرخص لسكان الشام . وعند رجوع هاشم – في طريقه إلى مكة – لقى رؤساء القبائل التي مر بها فأخذ منهم عهد الأمان « الإيلاف » دون أن يعقد معهم حلفا . كان تجار مكة يحملون البضائع إلى الشام ويشاركون العرب في التجارة بأن يأخذوا بضائعهم ويتاجروا بها ثم يعطوهم أرباحاً مع رؤوس أموالهم (١٤) .

لقد ذهب هاشم نفسه في تجارة مع تجار مكة ، وطبقاً للاتفاق مع القبائل حيث قاد تجار مكة إلى الشام وأحلهم في قراها ، وقد توفي هاشم في هذه الرحلة في مدينة غزة . كما ذهب المطلب بن عبد مناف إلى اليمن وحصل من حكام اليمن على ترخيص مماثل لما حصله هاشم

---

(١٢) القالي : ذيل الامالي ص ٢٠٠ ، الكلاعي : الاكتفاء ٢٠٧/١ – ٢٠٩ .
Hamidullah: Al-ilaf au les rapports economic - diplomatiques de la Mecque pre Islamique.
(Mélanges Louis Massignon, II, 293 seq.); idem: Muslim Conduct of State, 102;
ظافر القاسمي : الايلاف والمعونات غير المشـــروطة . مجلة مجمع اللغـة العربية ، دمشق ٣٤ ص ٢٤٣ – ٢٥٥ .

(١٣) للتفسيرات الاخرى لهذا اللقب انظر كايتاني :
Caetani: Annali I, 109-110 (90).

(١٤) يترجم محمد حميد الله : « وعلى أن قريشـا تحمل لهم (هكذا من نص المنمق ، وعند القالي « اليهم ») بضائع فيكفونهم حملانها ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم وربحهم كالآتي :
"et leur remettraient la prix realisée sons pour autant les charger des pais au deduire des commissions...".

لقد جعل الفقرة في الانكليزية تصبح كالآتي :
"... promised... to carry their goods as agents without commission for commercial purposes or otherwise concluded treaties of friendship...".
وهذه الترجمة تبدو غير مضبوطة .

لتجار قريش ، وحصل على الإيلاف من رؤساء القبائل ، وقد توفي في ردمان . وذهب عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة وفي طريقه حصل على الإيلاف . وكذلك حصل نوفل أصغر الأخوة على ترخيص من كسرى امبراطور الفرس والأيلاف من رؤساء القبائل (في طريق فارس) ، وعاد بعدها إلى العراق وتوفى في سلمان . لقد طورت قريش بعد ذلك تجارتها ، وزادت ثرواتها ، وكان ذلك بفضل بني عبد مناف الذين تدين لهم قريش بالفضل في الجاهلية .

يدون ابن سعد قصة هاشم الذى حصل على الإيلاف وعلى رخص الأمان من لدن الحاكمين (١٥) . وقد سمى القالى تلك الرخص (عهدا) أو (أمانا) ويستعمل ابن سعد صيغة (حلف) ، كما يستعمل محمد بن حبيب في فصل الأيلاف كلمة (إيلاف) للرخص والاتفاقات مع رؤساء القبائل (١٦) . ويطلق البلاذرى في ذكره للايلاف تعبير (عصام) على رخص الحكام . فقد قيل إن نوفل بن عبد مناف كان قد حصل على (عصام) من ملوك العراق (١٧) .

يستعمل الطبرى الكلمتين (عصام) و (حبل) للدلالة على الرخصة . قال : حصل نوفل على (الحبل) من الأكاسرة ، وكانوا (أي تجار قريش) يترددون على العراق وفارس (١٨) .

ويذكر الثعالبي أن هاشما أخذ الإيلاف من الأعداء (١٩) . إن عبارة أخذ الإيلاف من الأعداء سجلها الثعالبي في موضع آخر وهي تختلف كلياً عن الروايات المذكورة ،

---

(١٥) ابن سعد : الطبقات ٧٥/١ ـ ٨٠ سيقت الرواية عن عبدالله بن نوفل بن الحارث (انظر ابن حجر : الاصابة رقم ٤٩٩٤) يقول : ان هاشما كتب الى النجاشي (ملك الحبشة) يسأله أن يمنح تجار مكة أمانا . ان القاعدة الاقتصادية للايلاف تسجل هنا كالآتي : « على أن تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق » ص ٧٨ تساعد هذه على فهم الفقرة التى نوقشت في الملاحظة السابقة .

(١٦) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٦٢ وما بعدها .

(١٧) البلاذري : أنساب ٥٩/١ ، انظر في كلمة (عصم) الاعشى : الديوان ص ٢٩ .

(١٨) الطبري : تاريخ ١٢/٢ ، قارن ابن ظفر الصقلي : انباء نجباء الابناء . ط مصطفى القباني ، القاهرة بلا تاريخ ص ٦٦ ـ ٦٨ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ، ط القاهرة ١٣٨٠هـ ٢١٤/١ ـ ٢١٥ ، سير الملوك ، مخطوط المتحف البريطاني رقم ٢٣٢٩٨ الورقة ١٧٤ أ .

(١٩) الثعالبي : لطائف المعارف ص ٥ ط دي جونج ١٨٦٧م .

ولابد أن تكون قد حرفت عن الروايات السابقة حول الإيلاف (٢٠) .

كانت قريش ـ كما يقول الثعالبي ـ لا تفارق مكة ولا تتعامل إلا مع التجار الذين يترددون على سوق عكاظ وذى المجاز خلال الأشهر الحرم ويأتون مكة ، وكان سبب ذلك أن قريشا متمسكة بدينها محبة لحرمها وبيتها ، وكانت تخدم حجاج مكة وفي ذلك نفع لها .

وكان هاشم أول من ذهب إلى الشام ، وزار الملوك وقام برحلات بعيدة واجتاز الأعداء (أي القبائل المعادية) وأخذ منهم الأيلاف المذكور (في القرآن) . فيذكر الثعالبي رحلتين لهاشم (إلى العباهلة في اليمن وإلى اليكسوم في الحبشة في الشتاء ، وإلى الشام وبيزنطة في الصيف) ويقول حول الإيلاف : لقد أخذ الإيلاف من رؤساء القبائل والزعماء لسببين : بسبب أهل « الحرم » والناس الذين لا يأمنون من هجمات « ذؤبان العرب » ولصوص البدو ورجال الغزو ، والغارقين في أعمال الثأر المتأصلة ، وبسبب تلك القبائل التي لا تحترم حرمة الحرم والأشهر الحرم ، مثل طيء وخثعم وقضاعة ، بينما تحج القبائل الأخرى إلى الكعبة وتحترم البيت . إن الإيلاف يعنى كما يقول الثعالبي : مبلغاً من المال يمنح من قبل هاشم إلى رؤساء القبائل كأرباح ويتعهد هاشم بنقل بضائعهم سوية مع بضائعه ، ويسوق ابلهم مع ابله ، كي يريحهم من مشاق الرحلة ويريح قريشا من خوف الأعداء ، وكان في ذلك فائدة للجانبين : فقد ربح المقيمون (البـــدو) وأمن المسافرون (القرشيون) وتحسنت بذلك أحـــوال قريش (٢١) .

---

(٢٠) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٨٩ وما بعدها . ان حق الايلاف لقريش وامتيازها به ذكر في أبيات لمسور بن هند .

زعمتم أن اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف
أولئك أومنـوا جوعا وخوفا وقد جاعت بنو أسـد وخافوا

انظر الحماسة (شرح المرزوقي ط هارون) ص ١٤٤٩ رقم ٦٠٥ . وقارن البلاذري : انسـاب ٨٩/١ (قول نتيلة حول ولدها ضرار بن عبدالمطلب) :

سن لفهر سنة الايلاف

وانظر الهمداني : الاكليل ٢/١ مخطوطة الورقة ١٢٦ :

فلا تقصـــوا معـدا ان فيها الاف الله والامـــر السمين

(٢١) هناك رواية ذات مغزى مقتبسـة من كتاب الكمائم (مفقود) جاءت عن أبي سعيد في كتابه نشوة الطرب (مخطوطة توبنجن الورقة ٩٧) ، قال صاحب الكمائم . « كانت قريش قد انقطعت عند البيت وكانت العرب التي حولها تمنعهم من الخروج في طلب المعاش ولم يكن لهم عيش الا ما يأتي الموسم أيام الحج ، فلما نشا بنو عبد مناف المذكورون أخذوا العرب بالسـياسة والمهاداة الى أن انقادوا لهم وفتحوا الطريق لسفارهم حيث شاءوا فاخترعوا الايلاف الذى ذكره الله عز وجل .

يذكر ابن أبي الحديد روايتين (٢٢) واحدة عن القالى والأخرى عن الجاحظ في رسالته (فضل هاشم على عبد شمس) (٢٣) ، توضح رواية الجاحظ المشاركة في الأرباح بين هاشم ورؤساء القبائل : « وشارك في تجارته رؤساء القبائل من العرب . . . وجعل لهم معه ربحاً . . . » . ويذكر الجاحظ رواية أخرى حول الإ يلاف يقول فيها : إن هاشماً فرض ضرائب على رؤساء القبائل ، وقد استطاع هاشم بهذه المبالغ المجموعة أن ينظم الدفاع عن أهل مكة ضد اللصوص والقبائل التي ما كانت لتحترم قدسية مكة (٢٤) .

وينقل اليعقوبي (٢٥) القصة المذكورة سابقاً حول الأخوة الأربعة (هاشم وأخوته) الذين حصلوا على الإ يلاف ، وتتضمن الرواية مع ذلك عبارة تعطى اشارة تعين على تقدير مدى فعالية إتفاقات الإ يلاف التي أنجزها هاشم ، يقول اليعقوبي : كانت قريش بعد موت هاشم خائفة من تسلط البدو عليها ، وهذه العبارة تدل على أن اتفاقيات الإ يلاف لم تكن في الواقع قد نفذت ، وقد خشيت قريش من أن بعض القبائل ربما تمتنع من تنفيذ بنودها . إلا أن نشاط أبناء عبد مناف والأرباح الممنوحة للرؤساء جعل الرؤساء يلتزمون بتعهداتهم حول الإ يلاف .

إن التفسير المعجمي لكلمة (إيلاف) نوقش من قبل بيركلاند ، فأرجع الكلمة إلى كونها « حماية » (حلف يضمن الأمن) الخ (٢٦) ، ويرى بيركلاند أن معنى كلمة (الحماية (Protection)) لم يرد في تفاسير القرآن عدا تفسير الألوسى ، وهو على كل حال يستند في تفسيره إلى أبي حيان (٢٧) ، يستشهد أبو حيان برأى النقاش بأنه كانت هناك أربع رحلات (أى أنهم يرسلون أربع قوافل : إلى الشام ، والحبشة ، واليمن ، وفارس) ولا يوافق أبو حيان على تفنيد ابن عطية ، ويستشهد في مناقشته بقصة أبناء عبد مناف الأربعة الذين حصلوا على الإ يلاف ، ويذكر أبو حيان شرح الأزهري لكلمة

(٢٢) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ٣/٤٥٤ ، ٤٥٨ .
(٢٣) الجاحظ : رسائل ص ٧٠ ط السندوبي .
(٢٤) الجاحظ : المصدر السابق والصفحة .
(٢٥) اليعقوبي : تاريخ ١/٢٧٨ .
(٢٦) H. Birkeland: The Lord Guideth, p. 106-107.
قارن ذلك بالزمخشري : الفائق ١/٤٠ .
(٢٧) ابو حيان : البحر المحيط ٨/٥١٥ سورة قريش .

(إيلاف) ويستشهد بأبيات مطرود بن كعب (التي ترجمت من قبل بيركلاند) (٢٨) . وجاء شرح الأزهرى أيضاً في تعليق معاهد التنصيص على أبيات مساور بن هند (٢٩) : « شبه الاجارة بالخفارة » .

وينبغي أن يقال إن الروايات التي وردت حول الإ يلاف ، تجمل الظواهر الأساسية للتغييرات في مكة التي كانت مركزاً صغيراً لتوزيع البضائع على القبائل البدوية المجاورة للمدينة ، وقد اكتسبت مكة موقعاً ممتازاً كمركز لتجارة المرور (Transit Trade) .

وكان تجار مكة يحملون البضائع أيضاً إلى سورية والحبشة والعراق واليمن . وهذه التجارة المستندة إلى أحلاف الإ يلاف كانت عملية مشتركة بين أسر قريش بزعامة أسرة عبد مناف . إن الأحلاف المعقودة مع القبائل على مبدأ الربح التجارى لم تكن معروفة حتى ذلك الحين ، إنها لم تكن أحلافاً مع التزامات في المساعدة المتبادلة والحماية ، ولم تكن تلزم القبائل بحماية قوافل قريش مثلما كانت حال القبائل في علاقتها بقوافل الحيرة .

إن اتفاقيات الإ يلاف كانت قد أقيمت على أساس في الأرباح مع رؤساء القبائل ، ومن الواضح استخدام رجال القبائل أيضاً كحراس للقوافل .

بإمكاننا أن نفترض أن الإ يلاف ينبغي أن يتضمن فقرة بخصوص مراعاة الأشهر الحرم أي التعهد بالسلم خلال هذه الأشهر ، واحترام قداسة مكة (أو بالأحرى حرمة مكة) . وكان الإ يلاف يعني في الحقيقة القبول بـ « نظام السلم المكي » ((Pax Meccana)) من قبل القبائل والاعتراف بمكانة المكيين وتجارة مكة ، وإقامة التعاون الاقتصادى المستند إلى المصلحة العـــامة ، وذلك يوضح تلك الفقرة المهمة في رواية الثعالبي حول الإ يلاف مع القبائل التي كانت معادية حتى ذلك الحين .

يناقش بيركلاند الخلفية التاريخية للآيتين ١ ــ ٢ من سورة قريش ١٠٦ ، ويؤكد على أهمية عهود الإ يلاف فيقول : « إن براعة قريش المالية وحيازتهم الأماكن المقدسة جعلهم أسياد الاقتصاد في غرب الجزيرة حوالى مائة سنة قبل النبي » (٣٠) . ومن الممكن تعميم قول

(٢٨) بيركلاند : المرجع السابق ص ١١٩ ، وانظر القالى : أمالى ٢٤١/١ ، البكري : السمط ص ٥٤٧ ــ ٥٥٠ ، الشريف المرتضى : أمالى ١٧٨/٤ ــ ١٧٩ .
(٢٩) العباسي : معاهد التنصيص ٩٥/١ .
(٣٠) بيركلاند : المصدر السابق ص ١٢٢ وما بعدها .

بيركلاند هذا ليشمل شرق الجزيرة أيضاً . لقد كان حجم التجارة القرشية واسعاً جداً (٣١) .

ومن الممكن تصور أن رؤساء القبائل كانوا يفضلون الاشتراك في التجارة مع تجار مكة ، فقد كانت أرباحهم أكثر استقراراً في تعاونهم مع قريش ، وكان في مقدورهم إقامة علاقات وطيدة معهم ، وقد فعلوا ذلك حقاً ، فقد كان يرحب بهم في مكة ويستطيعون دخولها من غير خوف ، على خلاف موقفهم من الحيرة فقد كان موقف الذليل الخاضع ، أما في مكة فهم أنداد يستطيعون التفاوض على قدم المساواة .

إن تأثير مكة التجارى كان واضحاً ، وبإمكاننا أن نستنتج ذلك من قصة سجلها اليعقوبي (٣٢) : ذلك أن رجلاً من كلب كان في خدمة امرأة كلبية (تاجرة) على مشارف الشام ، وقد شاهد وصول قافلة مكية إلى الشام ، فيصف بالتفصيل شخصية هاشم ومهابته وشرفه وعزة نفسه وسخاءه والتبجيل الذى يظهره له رؤساء مكة ثم يقول : « والله إن هذه هي العظمة الحقيقية وليست عظمة آل جفنة » . إنها عبارة جديرة بالملاحظة ، فقد شهد هذا البدوى مجد الزعيم القرشي ، فعاداته وسيرته وسجاياه كانت أكثر قرباً إلى نفس البدوى من عزلة حكام آل جفنة ، إنها عبارة صيغت لتكون تمهيداً للمستقبل .

وهناك رواية جديرة بالملاحظة ربما تلقى بعض الضوء على الوضع في مكة في زمن هاشم ، هذه الرواية نقلها السيوطي عن الموفقيات للزبير بن بكار (٣٣) ، وقد رويت عن عمر بن عبد العزيز ، وذلك إن أشراف مكة كانوا يزاولون (الاعتفاد) (٣٤) ، والاعتفاد — كما يوضح السيوطي — أن أهل البيت منهم كانوا إذا خسروا أموالهم يخرجون إلى الصحارى فيضربون على أنفسهم الأخبية ثم يتناوبون فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم الناس بورطتهم . هكذا كانت تجرى الأمور حتى نشأ هاشم ، فلما نبل وعظم قدره في قومه ، جمع قريشا وقال لهم : « يا معشر قريش إن العز مع الكثرة ، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالا وأعزهم

---

(٣١) انظر :

E. R. Wolf: The Social Organization of Macca and Origins of Islam, Southwestern Journal of Anthropology 1951, pp. 330-337.

(٣٢) اليعقوبي : تاريخ ٢٨٠/١ ، وانظر ابن كثير : البداية ٣١٦/٢ — ٣١٧ ، سير الملوك مخطوطة الورقة ١٧٣ ب .

(٣٣) السيوطي : الدر المنثور ٣٩٧/٦ سورة قريش ١٠٦ .

(٣٤) في الاصل « احتفاد » ولابد أنها خطأ .

نفرا وإن هذا الاعتفاد قد أتى على كثير منكم » ثم بسط لهم رأيه الذى قبلته قريش ، وذلك أن يلحق بكل رجل غنى رجلاً فقيراً ، فالفقير يعين الغنى في رحلاته مع القوافل ، و« يعيش في ظله بفضلة أمواله » وكان ذلك قطعاً للاعتفاد فألف هاشم بين الناس .

فلما كان من أمر الفيل وأصحابه ما كان ، وأنزل الله ما أنزل ، وكان ذلك مفتاح النبوة وأول عز قريش حتى هابهم الناس وقالوا : أهل الله والله معهم ، وكان مولد النبي في ذلك العام ، فلما بعث الله النبي كان فيما أنزل عليه يعرف قومه وما صنع لهم وما نصرهم من الفيل وأصحابه : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » (٣٥) ، ثم قال : ولم فعلت ذلك يا محمد بقومك وهم يومئذ أهل عبادة أوثان ، فقال لهم : « لإ يلاف قريش » (٣٦) أي لتراحمهم وتواصلهم ، كانوا على شرك وكان الذى أمنهم منه من الخوف خوف الفيل وأصحابه و « أطعمهم من جوع » يعنى جوع الاعتفاد .

إن الرواية تميل إلى تفسير « لإ يلاف قريش » على أنها تعني (لتراحم قريش وتواصلهم) ، إلا أن هذه القصة نوعاً ما غير مترابطة مع تفسير الآية ، إنها تبدو في الحقيقة وكأنها تعكس الحالة قبل الإ يلاف . لدى الزبير بن بكار معلومات واضحة عن حالة مكة الاجتماعية والاقتصادية في العصور الجاهلية . وروايته ربما تتضمن مقداراً جيداً من الصدق ، تشير الرواية إلى أن القوافل ، قبل عمل هاشم للإيلاف ، كانت تبعث من قبل الأفراد ، وكان في ذلك مخاطرة كبيرة ، فالتجار معرضون لخسارة كل شئ في حالة هجوم قطاع الطرق أو القبائل المعادية ، والتاجر الذى استثمر كل رأس ماله ربما خسر كل شئ ، فكان الإ يلاف هو الذى جعل الرحلات أمينة .

كان رأي هاشم في ضم الفقير لمشروع القوافل رأياً جريئاً ، إنه أراد أن يعطي الفقير بعض الحصص في الأرباح مكافأة لعمله ، أو من الراجح ، مقابل توظيف المبالغ الصغيرة للأقارب الفقراء . ويبدو أن هذا الاتجاه قد ظهر صداه في أبيات مطرود بن كعب (٣٧) :

---

(٣٥) سورة الفيل ١٠٥ .

(٣٦) سورة قريش ١٠٦ .

(٣٧) انظر بيركلاند : المرجع السابق ص ١١٩ ، وانظر هذه الابيات ايضا في ابن عربي ، محاضرات الابرار ١١٩/٢ ، الطبرسي : مجمع البيان (سورة قريش ١٠٦) ، البلاذري : انساب ٥٨/١ ، اليعقوبي : تاريخ ٢٠٢/١ ، الدياربكري : تاريخ الخميس ١٥٦/١ ، سير الملوك ، مخطوط الورقة ١٧٣ ا .

والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

وهذه الفكرة « فكرة مخالطة الفقير » (أو الأدني مرتبة) مع الغنى كانت المثل الأعلى في المجتمع الجاهلي ، وقد قررها الشعر (٣٨) . إنه لتقليد هام في المثل الجاهلية انعكس في العناية بالأسر المحتاجة . على أن اعتناق الإسلام اعتبر انحرافاً عن هذه المثل .

فنعيم بن عبد الله (٣٩) من العويج (من عدى قريش) اعتنق الإسلام ، وقد كان والده يطعم فقراء عدى ، وبعد اعتناق نعيم الإسلام لقيه الوليد بن المغيرة المخزومي الذى قال له : « يا ولد عبد الله ، لقد هدمت ما بنى أبوك وقطعت ما وصل (بفضله) حين تبعت محمداً»(٤٠)

وتذكر رواية للبلاذرى حول حلف الفضول تعهداً خاصاً بمساعدة المحتاجين القادمين إلى مكة من فضلة مال القوم الداخلين في الحلف « . . . تعاقدوا على . . . ومواساة أهل الفاقة ممن ورد مكة بفضول أموالهم » (٤١) .

يقول النعمان بن عجلان الشاعر الأنصارى حين يفخر بفضل الأنصار على المهاجرين(٤٢)

وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة أيسار الجزور على شطر

وهناك روايات حول حكيم بن حزام تفيد أنه اعتاد توزيع أرباح قوافله على فقراء ومحتاجى قومه (٤٣) .

(٣٨) قارن القالي : الامالي ١٥٨/٢ ، البكري : السمط ص ٥٤٨ ، ابن شرف : رسائل الانتقاد (رسائل البلغاء ص ٣٣٤) (الخرنق) :

والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذي الفقر

وانظر ابن الشجرى : الحماسة ص ٥٦ (عمرو بن الاطنابة) :

والخالطين حليفهم بصريحهم والباذلين عطاءهم للسائل

وانظر الخالديين : الاشباه ٢٠/١ ، حسان : الديوان ص ٣٠٨ :

والخالطين غنيهم بفقيرهم والمنعمين على الفقير المرمل

وقارن الاعشى : الديوان ٣٥/٣ :

واهان صالح ماله لفقيرها واسا واصلح بينها واسالها

وانظر ابن عبدالبر : الاستيعاب ص ٣٠٠ (النعمان بن بشير) :

فلا تعدد المولى شريكك في الغنى ولكنما المولى شريكك في العدم

(٣٩) انظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ١٨٧٧٧ (اعتنى بارامل بني عدي) .

(٤٠) البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٨٦٩ ١ .

(٤١) المصدر السابق مخطوط الورقة ١٤٤ ١ ، رواية اخرى جاءت في السيرة لابن هشام ١٤١/١ .

(٤٢) ابن حجر : الاصابة رقم ٨٧٤٧ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ص ٢٩٨ .

(٤٣) الزبير بن بكار : نسب قريش ٣٦٧/١ رقم ٦٤٤ .

إن الروايات المستشهد بها سابقاً تعكس بوضوح الاتجاه للعناية بالفقراء والمحتاجين من العشيرة . وهكذا فإن توطيد هاشم للإيلاف استطاع بنجاح أن يوسع التجارة وأن يشارك الأغنياء والفقراء في القوافل ، وصارت القوافل مشروعاً مشتركاً ، فإذا ما جازف تاجر وأرسل قافلة خاصة ، فإن التجار الآخرين يشتركون معه في استثمار أموالهم في قافلته (٤٤) . إن النص الآتي للقمي حول وعي المكيين الاجتماعي وعنايتهم بالفقراء جدير بالملاحظة : « وكانت قريش يتفحصون عن حالة الفقراء ويسدون خلة المحاويج » (٤٥) .

ويبدو أن هاشماً قد وسع الاتجاه في العناية بالمحتاجين حتى أصبح مبدأ إجتماعياً ، فيذكر الديار بكرى رواية حول هاشم في سند عن ابن عباس تفيد : أن أهل مكة كانوا في حالة فقر حتى جمعهم هاشم بإرسال القوافل إلى سورية واليمن . لقد درجوا على تقسيم أرباحهم بين الأغنياء والفقراء حتى أصبح الفقير مثل الغنى (٤٦) . ويتحدث ابن حبيب عن رجال الإيلاف قائلاً : « بسببهم رفع الله قريشا ونعش فقراءها . . . » (٤٧) .

وقد يبدو للمرء وجود تشابه بين مزج الفقير والغنى (المخالطة) وبين المؤاخاة (٤٨) . وقد رافق ابرام إتفاقيات الإيلاف تحسين الحالة الداخلية في مكة وتجهيز وسائل الراحة للحجـــاج .

إن البيوت الأولى في مكة كانت قد بنيت من قبل قصى (٤٩) .

ومن الممكن أن نفترض أن تلك البيوت كانت متواضعة جداً ، وكان قطع الأشجار في مكة يعد مشكلة خطيرة ، بسبب حرمة مكة ، ولكن قصياً أمر بقطع الأشجار وبناء البيوت(١) .

---

(٤٤) المصدر السابق ٤٧١/١ رقم ٦٤٥ ، ٦٤٦ .

(٤٥) القمي : غرائب القرآن (على حاشية تفسير الطبري بولاق ١٢٢٩هـ) ١٦٩/٣٠ .

(٤٦) الديار بكري : تاريخ الخميس ١٥٦/١ .

(٤٧) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٦٢ .

(٤٨) قارن السلامي : أدب الصحبة ص ٥٠ : « وكان (النبي صلى الله عليه وسلم) ينبسط في مال ابي بكر كما ينبسط في ماله ويحكم فيه كما يحكم في ماله » .

(٤٩) انظر ابو البقاء : مناقب مخطوط الورقة ٨٥ أ .

(١) انظر ابن سعد : الطبقات ٧١/١ ، البلاذري : انساب ٥٨/١ ، كايتاني : حوليات ١٠٣/١ (٧٨) ، اليعقوبي تاريخ ١٩٧/١ ، الحلبي : انسان العيون ١٤/١ .

ويظهر أن البيـــوت كانت مستديرة الشكل حتى لا تكون شبيهـــة بشكل الكعبة (٢) . ويذكر مؤرج السدوسي أن الزبير بن الحارث بن أسد كان أول من سقف بيتاً ، لقد كانت قريش تهدم البيت الذى لا يكون فيه تعظيم للكعبة (٣) . وكان حميد بن زبير بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى أول من بنى بيتاً مربعاً في مكة (٤) . وحين بنى بيته خافت قريش العقاب (من الله) . وقد نظم الرجاز في ذلك أبياتاً :

اليـــوم يبنى لحميـــد بيتـــه
إمـــا حيـــاته وإمـــا موته (٥)

ولما لم يصب حميد ببلاء ، بدأت قريش في بناء البيوت المربعة . فإذا صحت هذه الرواية فإن الزمن الذي تغير فيه بناء البيوت كان النصف الثاني من القرن السادس ، إن أُخت حميد هذا كانت أم حكيم بن حزام ، وابن حميد ، عبد الله بن حميد قتل في أحد (٦) . وهكذا يمكن أن نحدد زمن التغييرات المهمة في طراز بناء البيوت هو العقد الأخير من القرن السادس .

---

(٢) الثعالبي : ثمار القلوب ص ١٣ ، وانظر الموصلي : غاية الوسائل الى معرفة الاوائل مخطوط كمبرج ٣٣ الورقة ٥٨ : « ... وقيل : أول من بنى بها بيتا سعد بن سهم (لكن انظر الفاسي : شفاء الغرام ١٩/١ : سعيد بن عمر بن هصيص السهمي ، قارن مصعب بن عبد الله : نسب قريش ص٤٠٠) فقال عبدالله بن وادعة (اقرأ : بنو وداعة ، انظر مصعب : المصدر السابق ص٤٠٦ وقارن الفاسي : المصدر السابق ١٩/١ ، وذكر الزبير بن بكار عن ابى سفيان بن ابى وداعة ـ حيث القراءة الصحيحة) يفتخر :

وسعد السعود جامع الشمل انه — بدا الحلف والاحيـاء غير حلاف
فأوسق عهد الحلف والود بينهم — بأمـــر حصيف فيهم ونصـــاف
وذلك ما ارسى ثبير مكـــانه — وما بل بحـر صوفه بنطـــاف
وأول من بوىء بمكـة بيتـــه — وســـور فيه ســـاكنا باثافي

كذا بدا وبوى لاسباب الوزن . لكن انظر الفاسي : المصدر السابق والصفحة . يسجل الموصلي (في الموضع السابق) ان أول من بنى بيتا مربعـا في مكة كان بديل بن ورقاء الخزاعي (صاحب الرسول) . يروى الواقدي عن الزهري (الفاكهي : تاريخ مكة ، مخطوط ليدن رقم ٤٦٣ الورقة ٤٤٤ ب) ان أول بيت مربع بني في مكة أثناء فتنة عثمان رضى الله عنه) .

(٣) مؤرج السدوسي : الحذف من نسب قريش ص ٥٤ .

(٤) الزبير بن بكار : نسب قريش ٤٤٣/١ ، وانظر الفاكهي : المصدر السابق الورقة ٤٤٠ ب حول شكل البيوت : ... وانما كانت عامـــة بيوتهم عروش من خصاص وسعف وجريد وكانوا يسمونها العروش .

(٥) تنسب هذه الابيات لدويد ، انظر الزبير بن بكار : المصدر السابق والصفحة .

(٦) انظر ابن هشام : السيرة ١٣٥/٣ ، البلاذري : انساب ٣١٩/١ وكان قد اقسم ان يقتل النبي في أحد .

لقد تنافس أشراف مكة في تقديم العون لراحة الحجاج ، فقد قيل إن هاشماً كان يطعم الحجاج في كل موسم (٧) . وكان عبد المطلب أول من جهز الحجاج بالماء العذب (٨) ، لقد حفر عبد المطلب بئر زمزم في زمن كسرى بن قباذ (٩) ، وعلى الرغم مما في ماء زمزم من صفات دوائية (١٠) فانه لم يكن مقبول الطعم ، ولذلك كان عبد المطلب يمزجه بالزبيب . وكذلك كان يعطى الحجاج الحليب مع العسل (١١) . وقد قام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب فجهز ماء الشرب للحجاج . وقد شرب النبي من (السقاية) ، والشرب من سقاية أسرة العباس يعد (سنة) (١٢) . هناك روايات حول حفر الآبار والمنافسة بين أشراف مكة في توفير ماء الشرب للحجاج (١٣) ، فقد قيل أن سويد بن هرمي كان أول من أعطى الحجاج الحليب ليشربوا (١٤) ، كما أعطى أبو أُمية بن المغيرة المخزومي (زاد الركب) وأبو وداعة السهمي الحجاج عسلا (١٥) .

إن الروايات حول الإ يلاف وحول التحسينات في مكة وتجهيز الطعام والشراب للحجاج كل ذلك يشير إلى الجهود المبذولة لازدياد هيبة المدينة وأمن الحج والتجارة ولذلك فقد أعطيت التسهيلات الخاصة لبعض التجار القادمين إلى مكة للحج (١٦) ، وكانت القوافل التي تجهز بأحسن المؤونة وأجودها كي تحظى برضا القبائل قد نالت الربح الوفير .

وقد لعبت تميم في هذا المجال دوراً كبير الأهمية ، ويمكن أن يقاس هذا من بعض الفقرات التي تتحدث عن الأسواق في الجاهلية كما سجلها محمد بن حبيب (١٧) ، يذكر ابن حبيب في رواية حول سوق دومة الجندل : « إن كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز كان يتخفر بقريش مادام مسافراً في بلاد مضر ، لأن مضر لم تكن تعرض لتجار مضر ،

(٧) البلاذري : انساب ٦٠/١ ـ ٦١ ، الازرقي : أخبار مكة ٦٧/١ ط · وستنفيلد ·
(٨) المسعودي : مروج ٤٦/٢ ·
(٩) المصدر السابق والصفحة ·
(١٠) Rathjens: Die Pilgerfahrt pp. 42, 45.
(١١) الازرقي : أخبار مكة ص ٧٠ ، قارن أبو ذر : شرح السيرة ص ٤٢ ط · برونله ·
(١٢) انظر السيوطي : الدر المنثور ٢١٩/٣ ·
(١٣) قارن المصعب الزبيري : نسب قريش الصفحات ٣٢ ، ١٩٧ ـ ١٩٨ ·
(١٤) المصدر السابق ص ٣٤٢ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٥٣ أ ·
(١٥) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٧٧ ·
(١٦) المرزوقي : الامكنة ١٦٦/٢ ، انظر ترجمة محمد حميد الله · Le projhéte de l'Islam, II, 606.
(١٧) محمد بن حبيب : المحبر ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ·

ولا كانوا (أي التجار) يضايقون من حلفاء مضر ، تلك كانت عادة متفق عليها بينهم ، وكذلك كانت كلب لا تضايقهم بسبب حلفهم مع تميم (١٨) . وكانت طيء أيضاً لا تضايقهم بسبب حلفهم مع أسد . وكانت مضر تقول : « قضت عنا قريش مذمة ما أورثنا اسماعيل من الدين » (١٩) .

هذا الخبر جاء عند المرزوقي مع اختلافات مهمة (٢٠) : « كانت قريش تنطلق من مكة إلى (دومة الجندل) ، فإذا أخذوا طريق الحزن فما كانوا يحتاجون لحماية أية قبيلة حتى يرجعوا ، وكان ذلك بسبب مضر . . . الخ (٢١) وعندما يغادرون الحزن أو يذهبون إلى الحزن يردون مياه كلب ، وكانت كلب حلفاء بني تميم ، ولذلك فما كانوا يقلقونهم ، وإذا ذهبوا إلى الغور يمرون بأسد ويصلون إلى طيء . . . » .

إن رواية المرزوقي تكمل رواية ابن حبيب . فتعبير ابن حبيب الغامض (في بلاد مضر) جاء هنا أكثر اتقانا ، إن الطريق الموصل من مكة إلى الحزن (٢٢) كان تحت سيطرة القبائل المضرية ، والحزن نفسه كان في ملك تميم (٢٣) .

(١٨) حميد الله في :
Muslim Conduct of State, p. 54 (10).
« لأنهم كانوا (أي كلب) قد حالفوا بني جشم » (خطأ مطبعي على ما يظهر) .

(١٩) يترجم حميد الله :
Les Mudarites avaient l'habitude de dire (apec fierté) "Les Qurachites ont paye la dette de honte que nous avions contractée au nom d'Ismaël (Par les guerres fraticides et par le bellum amnium contra omnes" — Le prophéte de l'Islam, II, 600.

هذه الترجمة تبدو على أى حال غير مضبوطة لكي يترجم :
"que nous avions contractée au nom d'Ismaël'.

وقد قرأ حميد الله « ما أورثنا اسماعيل » (بالفتح) التي هي خطأ . وحق العبارة أن تقرأ « ما أورثنا اسماعيل » (بالضم) ، ان العبارة عظيمة الاهمية لفهم موقف القبائل نحو قريش ، ولأجل التفسير الصحيح للعبارة ينبغي أن نقتبس فقرة من الكلاعي : الاكتفاء ١/١٥٠ يناقش الكلاعي ميزات قريش ويسجل الفقرة الآتية : « ... وكانوا على ارث من دين ابراهيم واسماعيل من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم الحرم ومنعه من البغي فيه والالحاد وقمع الظالم ومنع المظلوم » . ان الفقرة التي تبدأ بـ (من قرى) هي شرح لـ « ارث من دين ابراهيم واسماعيل » . والفقرة عند المرزوقي : الامكنة ٢/١٦٢ لا تترك أي شك حول معنى الجملة : (وأورثنا أبونا اسماعيل) . وقارن المجالسي : بحار الأنوار ٦/٤٢ .

(٢٠) المرزوقي : الامكنة ٢/١٦٢ .

(٢١) ربما كان هناك بعض التطبيع أو الخطأ ، ربما يقرأ أحد : (أو علوا الحزن) .

(٢٢) انظر :
Thilo: Die Ortsnamen, p. 56.
وانظر ياقوت : البلدان ، والبكري : معجم ما استعجم مادة (حزن) .

(٢٣) انظر :
Von Oppenheim-Caskel: Die Beduinen III, 164.

إن الروايتين المهمتين ، رواية ابن حبيب ورواية المرزوقي ، تعطيان بعض المعلومات حول أسلوب مكة في العمل في منطقة مكة الحزن وتوسعها ، هناك تحالفان قبليان لمضر مرتبطان بمكة ارتباطاً وثيقاً ، هما تميم وأسد . وقد يسر هذان الحلفان ، حلف تميم وكلب (قضاعة) وحلف أسد وطيء (القحطانية) ، لقريش في أن ترسل بكل أمن قوافلها وتسيطر على التجارة في هذه الطرق . وقد كانت هاتان القبيلتان — طيء وكلب — بصورة خاصة أشد خطورة على مكة ، لأن أغلبية هاتين القبيلتين ما كانوا يحترمون قداسة مكة والأشهر الحرم ، ومن المهم قول المرزوقي حول طيء : « و (عند وصول أراضي طيء) كانو (أي التجار) يعظونهم شيئاً ، وكانت (أي طيء) تقودهم (في الإتجاه) الذين يريدونه » (٢٤) . وسنتعرف على موقف طيء وكلب تجاه مكة فيما بعد .

إن خط سير التجار إلى مركز التجارة المهم في المشقر كان يحتاج أيضاً إلى حماية قريش ، لأن الطريق يمر ببلاد مضر ، وكانت سوق هذه المدينة التجارية المهمة — التي يتردد عليها تجار الفرس وهي قاعدة مهمة للحكم الفارسي — بأمرة رجل من تميم (٢٥) .

إن تمحيص الروايات حول دومة الجندل (٢٦) تجعل الباحث يفترض أن تميماً لعبت دوراً كثير الأهمية في السيطرة على طرق هاتين السوقين وفي تأمين قوافل مكة .

إن نفراً من تميم أتوا مكة للتجارة ، وقد أصيب تميمي بظلم عند زيارته ، فسبب ذلك خلافاً بين زعماء قريش ، إن هذه القصة دونها ابن أبي الحديد رواية عن الواقدي (٢٧) وذلك أن عبد الله بن جعفر نازع في المجد يزيد بن معاوية في حضور معاوية (٢٨) سأله : « بأي أجدادك تفاخر ؟ بحرب الذى آويناه أو بأمية ؟ » إننا نعنى هنا بقصة حرب الذى آواه عبد المطلب والتي جاءت كالآتي ، كان لقريش حق الأسبقية في عبور العقبة عند السفر ، وكان على الآخرين أن ينتظروا حتى تجتاز قريش . فخرج حرب في ليلة وعند عبوره العقبة لقى رجلاً من أسرة حاجب بن زرارة ، متوجهاً إلى مكة في عمل ، تقدم حرب نحو الرجل

---

(٢٤) المرزوقي : الامكنة ١٦٢/٢ .

(٢٥) ابن حبيب : المحبر ص ٢٦٥ .

(٢٦) انظر مادة دومة الجندل : L. Veccia Vaglieri in E12.

(٢٧) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ٤٦٥/٣ ، ابن عساكر : تاريخ ٣٢٩/٧ .

(٢٨) انظر رواية هذه الحادثة في سيرة دحلان ٢٢/١ (على هامش انسان العيون) : كان الكلام بين ابن عباس ومعاوية ، وانظر ابن العربي محاضرات الابرار ١٧٩/١ .

واستعلم عن اسمه فأجاب أنه « ابن » حاجب بن زرارة ، وقد عبر التميمي العقبة مع حرب سوية ، فغضب حرب وأقسم أنه لن يسمح له أن يمكث في مكة مادام حياً . قضى التميمي بعض الوقت خارج مكة ، ولأن متجره بمكة فقد قرر أن يدخل ويسأل عن الرجل الذى يستطيع حمايته من حرب ، فدخل التميمي « ابن زرارة » مكة ليلاً وقصد بيت عبد المطلب ، وأنشد قصيدة سرد فيها الحادث وطلب حماية الزبير بن عبد المطلب (٢٩) ، وهكذا منح التميمي الحماية . وفي الصباح استدعى الزبير بن عبد المطلب أخاه الغيدق وأنطلقا متوشحين بالسيوف يحميان التميمي ، وحين لقيهم حرب هجم على التميمي وصفعه على وجهه ، فنجم عن ذلك خصام بين أولاد عبد المطلب وبين حرب ، واحتال حرب للهرب ولجأ إلى بيت عبد المطلب الذى آواه .

هذه القصة ربما تشير إلى العلاقة بين بني هاشم ودرام ، وتذكر الرواية أسماء بعض أناس من دارم الذين كانوا على صلة ببني هاشم ، كان أحدهم (حرمى) النبي .

إن المكانة المرموقة التي تتمتع بها تميم في مكة كانت ترتكز خاصة على قوتهم وخدماتهم لتجارة مكة الخارجية . كانت تميم قوية وكان زعماؤها مبجلين جداً ، إن هيبة زعماء تميم (من فرع دارم) تنعكس في القصة الطريفة التي تعزى إلى النبي : إن رجلاً (مسلماً) تزوج امرأة من طبقة دنيا ، وكانت المرأة تعير من قبل أخيه بضعة نسبها ، وكان النبي قد أخبر عنه كما أخبر عن فضيلة المرأة التي تزوجها ، فقال مخاطباً زوجها : إنك لا تلام لأنك لم تتزوج امرأة من أشراف العرب مثل بنت حاجب بن زرارة ، إن الله جاء بالإسلام وجعل الناس سوية ، إن المسلم لا يلام (على مثل هذا الزواج) (٣٠) .

إن فريقاً من رجال تميم كانوا يعدون ضمن سياسيي مكة يساهمون في إدارتها كما ساهموا في ازدياد نفوذها وهيبتها في المجتمع القبلي ، وكان ذلك وفق نظام خاص ، ذلك النظام هو نظام الحمس .

يعد ابن سعد في الحمس قريشاً ، وخزاعة ، وناسا من العرب « ولدتهم قريش » وطبقاً لرواية أخرى لابن سعد : « وأحلاف قريش » (٣١) .

(٢٩) كان الزبير بن عبدالمطلب زعيم بني هاشم في (أيام الفجار) انظر محمد بن حبيب : المحبر ص ١٦٩ ، ابن دريد الاشتقاق ص ٤٧ ، البلاذري : أنساب ١٠٢/١ .

(٣٠) الفاسي : شفاء الغرام ١٤١/٢ .

(٣١) ابن سعد : الطبقات ٧٢/١ ، وانظر ابن ظفر الصقلي : انباء نجباء الابناء ص ٦٩ ـ ٧٠ .

ويذكر ابن اسحق في الحمس : قريشاً ، وخزاعة ، وكنانة ، ويضيف ابن هشام (في رواية عن أبي عبيدة النحوى) عامر بن صعصعة (٣٢) .

ويعد ابن قتيبة في كتابه المعارف في الحمس : قريشا وناسا من كنانة (٣٣) ، ولكنه يعد في كتابه المعاني الكبير : قريشا ومن ولدت وحلفاءها (٣٤) .

أما الجاحظ فيعد في الحمس : قريشا وعامر بن صعصعة والحارث بن كعب (٣٥) .

ويعد الانباري (٣٦) والمرزوقي (٣٧) في الحمس : قريشا وكنانة وخزاعة وعامر بن صعصعة .

ولدى ابن حيان في تفسيره للقرآن هذه القائمة : قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وعامر بن صعصعة ونصر بن معاوية (٣٨) . ويعطى القرطبي قائمة مماثلة تقريباً ولكنه يأتي بجشم بدلاً من خثعم (٣٩) .

والحمس في لسان العرب : قريش ومن ولدت قريش ، وكنانة ، وفهم ، وعدوان ، وعامر بن صعصعة ، وخزاعة (٤٠) .

إن قوائم الحمس المستشهد بها في أعلاه متناقضة ، وأن فحص هذه القوائم يظهر بلا شك أن الحمس يشمل قريشا وساكنى مكة واناسا خارج مكة ، وطبقاً لما يقوله ارندونك : « الحمس اسم تقليدى اعطى لساكنى مكة عند ظهور محمد بقدر ما كانوا مميزين عن القبائل

---

(٣٢) ابن هشام : السيرة ٢١٢/١ ، الكلاعي : الاكتفاء ٢٧٢/١ .

(٣٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٩ .

(٣٤) ابن قتيبة : المعاني الكبير ص ٩٨٩ .

(٣٥) الجاحظ : مختارات فصول مخطوط الورقة ٢٠٨ ب .

(٣٦) المفضليات ٣٤ ، ١٤ ط لايل .

(٣٧) المرزوقي : شرح الحماسة ص ٣١ ، وانظر المرزباني : نور القبس ص ٢٥٨ (عن ابن الكلبي) ابن حبيب : المنمق ص ١٤٣ ـ ١٤٦ ، مقاتل : تفسير الخمس مائة آية ، مخطوط المتحف البريطاني رقم OR. ٦٣٣٣ الورقة ٢٨ ب ، المصدر السابق نفسه ، حميدية ٥٨ الورقات ٢٩ ب ، ٣١ب ، ٨٧ب ، وحول العادات الخاصة بطواف ثقيف وعامر بن صعصعة وخزاعة وبنى مدلج والحارث ابن عبد مناة انظر المصدر السابق الورقة ١٢٣ أ .

(٣٨) أبو حيان : البحر المحيط ٦٣/٢ .

(٣٩) القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ٣٤٥/٢ (سورة البقرة آية ١٨٩) وانظر بلاشير ، القرآن ٧٨٢/٢ رقم ١٨٥ .

(٤٠) لسان العرب (حمس) .

الأخرى بعادات خـــاصة خـــلال الإحرام ، وكانت بقيـــة القبائـــل الأخرى تعرف باسم (الحلة) (٤١) . وقد تغير هذا المفهوم .

إن القائمة المطولة لقبائل الحمس تعطى من قبل محمد بن حبيب ، فهو يقرر : « أن الحمس كل قريش ، وخزاعة (لنزولها في مكة ومجاورتها قريشا) ، وكل من ولدت قريش من العرب ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب ، فمن ولدت قريش : كلاب ، وكعب ، وعامر ، وكلب ، بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم مجـــد بنت تيم بن غالب بن فهر . وإليهـــا يشير لبيد قائلاً :

سقى قومى بنى مجـــد وأســـــقى نمـــيرا والقبـــائل من هـــلال (٤٢)

والحارث بن عبد مناة بن كنانة ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة ، بنزولهم حول مكة ، وعامر بن عبد منـــاة ، ومالك وملكان ابنـــا كنانة ، وثقيف وعدوان ، ويربوع بن حنظلة ، ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وأمهما جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر (٤٣) . ويقال إن بنى عامر كلهم حمس لتحمس اخوتهم من بنى ربيعة بن عامر ، وعلاف وهو ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وجناب بن هبل بن عبد الله (٤٤) من كلب . أمه آمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمها مجد بنت تيم الادرم بن غالب ابن فهر » (٤٥) .

إن قائمة ابن حبيب ترى حقيقة فريدة ، ذلك أن القبائل التي قبلت نظام الحمس ، كانوا من أصول مختلفة وينتمون إلى قبائل متعددة . فعامر بن صعصعة كانوا مضريين . وكلب تعود لقضاعة . وأصل ثقيف مختلف فيه (طبقاً لبعض الروايات يعتبرون من أحفاد قيس

(٤١) ارندونك : دائرة المعارف الاسلامية (حمس) .

(٤٢) انظر ابن عبدالبر : الانباه ص ٨٧ ، لبيد : الديوان ص ٩٣ (ط احسان عباس) . ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١٢٠ ب (في الجمهرة : مجد بنت تيم بن مرة بن غالب بن فهر) . النص المستعمل في الجمهرة ، للفائدة : « وهي التي حمست بني عامر جعلتهم حمسا » .

(٤٣) جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر بن كنانة كانت زوجة حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. ولدت لقيس : يربوعا وربيعة وعمرا ـ أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وبعد وفاة حنظلة بن مالك تزوجت مالك بن عمرو بن تميم وولدت لمالك : غيـلان وأسلم وغسان ـ أبناء مالك بن عمرو . انظر ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقتان ١٦٢ ، ١٩٠ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٩٥٨ ب .

(٤٤) انظر ابن دريد : الاشتقاق ص ٥٤٠ .

(٤٥) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

عيلان) . وعدوان تعود لقيس عيلان . وخزاعة كانت من أصل جنوب الجزيرة (٤٦) . والأهم من ذلك أن هذه القبائل عاشت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة ، فقد سكنت ثقيف في جنوب شرقي مكة ، وقضاعة (كلب) في الشمال ، تسيطر على طريق التجارة إلى سورية ، ويربوع ومازن تسيطران على طريق الحيرة وفارس .

وللفائدة نذكر حالة خاصة هي حالة زهير بن جناب الكلبي ، فقد قررت غطفان ــ طبقاً لرواية ــ أن تنشئ «حرما» مثل مكة ، فهاجمهم زهير بن جناب وحطم حرمهم(٤٧). وتفسر هذه الرواية سبب كون جناب من كلب ضمن نظام الحمس .

ربما يجد أحد بعض الصلة بين (الإ يلاف) الذى بحث سابقاً وبين (الحمس) . وإن تعبير الثعالبي بأن هاشماً : « أخذ الإ يلاف من الأعداء » (٤٨) يعني في الحقيقة أن الإ يلاف كان نظاماً مكملاً للحمس . لقد قصد بالإ يلاف تلك القبائل التي ما كانت تحترم الأشهر الحرم ، أو ــ مع انها تقوم بالحج ــ كانت تحت تأثير الجماعات الموالية للدول الأجنبية ، هذه القبائل مثــل طئ وخثعم وأفخاذ من قضاعة (٤٩) وغفار من كنانة (٥٠) ، كانت تعطى نصيباً من الأرباح كى تدع القوافل آمنة . فالى أي مدى كانت مكة معتمدة على هذه القبائل ، وراغبة في أن تحمل إليهم شروط الإ يلاف ؟ يمكن أن يقاس ذلك من بعض الأخبار المحفوظة .

كان العباس حاضراً حين ضرب أبو ذر بقسوة في مكة بعد أن اعتنق الإسلام . لقد لام العباس قومه قائلاً : « ويلكم ، تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار ؟ » فأخلوا سبيله (٥١) . واستطاع ثمامة بن أثال من حنيفة أن يهدد قريشا بقطع المؤونة من اليمامة ،

(٤٦) انظر ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٦٨ وما بعدها .
(٤٧) الاغاني ١٢١/١٢ ، ٦٣/٢١ .
(٤٨) ثمار القلوب ص ٨٩ .
(٤٩) البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٩٠٠ ب ، الجاحظ : الحيوان ٢١٦/٧ وانظر البلاذري : انساب مخطوط ٣٦٦ ا الكلام بين معاوية وعـدي بن حاتم حيث ان معاوية اتهم طيئا انها لا تحترم حرمة مكة . طيء وخثعم لا يقومون بالحج الى مكة ، وكان هذان الحيان يدعيان بـ (الافجرين) .
(٥٠) انظر الذهبي : سير اعلام النبـــلاء ٣٤/٢ : « وكانوا يحلون الشهر الحـرام » ، وانظر اسد الغابة ١٦٠/١ .
(٥١) الذهبي : سير اعلام النبلاء ٣٧/٢ .

وقد حقق تهديده فقطع ميرتهم (٥٢) . كما استطاع سعد بن معاذ إفزاع أبي جهل إذا هو منعه من الطواف حول الكعبة سيقطع تجارته مع سوريا (٥٣) . وقد يحاول المرء أن يفكر أن هنالك بعض الصلة بين كلمة « ألفهم » (أنجز عهود الإيلاف معهم) ، وبين عبارة « المؤلفة قلوبهم » (الناس الذين كسبت قلوبهم « للإسلام » ببعض المنح) . ولكن الحمس يدل على أناس شديدى الاقتناع بقدسية مكة ، مقرين بتميز قريش مسرورين بأوثانهم الخاصة في طقوس « الحج » وعلى استعداد للذود عن معتقداتهم .

يمكن أن تميز بعض سمات الحمس من فصول للجاحظ ، يذكر الجاحظ أن من مزايا قريش : أنه لم ينتسب قرشي قط إلى قبيلة أخرى ، بينما تجد حتى اليوم « أشراف العرب — مثل بنى مرة بن عوف بعض بنى سليم ، وخزاعة ، وآخرين — يزعمون كونهم من أصل قرشي . ولم تئـــد قريش بنتا حية أبداً ، وكذلك سكان الطائف لا يئدون ، لأنهم كانوا جيران قريش وأصهارهم بالزواج ، ولأنهم كانوا حمسا ، وكانت قريش هي التي جعلتهم حمسا » (٥٤) . ويقول الجاحظ مواصلاً : وحتى ظهور الإسلام لم تسب امرأة قرشية قط من قبل القبائل العربية ولم يكن هناك أي أسير أمه قرشية .

لقد ميز القرشيون أنفسهم عن بقية القبائل ، ذلك أنهم لم يزوجوا بناتهم من أشراف القبائل الأخرى ، ما لم يأخذوا ضماناً بأنهم سيعتنقون فكرة الحمس (بينما هم أنفسهم — كما يؤكد الجاحظ — تزوجوا بنات القبائل الأخرى بلا شروط تلزمهم) ، تلك القبائل كانت : عامر بن صعصعة ، وثقيف ، وخزاعة ، والحارث بن كعب . كانوا أناسا متعبدين « وكانوا ديانين » ولذلك نبذوا الغزو ، كان ذلك لكي يتجنبوا النهب والظلم واللصوصية واغتصاب النساء .

وفي فصل آخر يناقش الجاحظ صفات قريش ، ويلاحظ أن قريشا ظلت كريمة على الرغم من أن أرباحها لم تكن كبيرة منذ أن امتنعوا عن الغزو ، وينوه الجاحظ بكرم قريش وعنايتهم بالحجاج واهتمامهم بذوى القربي . يقول الجاحظ : كانت قريش تتفقد رجال القبائل بالأموال ، فكانت غطفان مخصوصة بعناية المغيرة (المخزومي) ، وذهب بنو عامر

(٥٢) ابن عبدالبر : الاستيعاب ص ٧٩ ، القسطلاني : ارشاد ٤٣٣/٦ ، القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ١٤٣/١٢ ، الحلبي : انسان العيون ١٩٨/٣ .

(٥٣) ابن العربي : محاضـــرات الابرار ٢٦٦/٢ ، صفة الصـــفوة ٣٧/١ : « لاقطعن متجرك الى الشام » .

(٥٤) الجاحظ : مختارات فصول ، مخطوط الورقة ٢٠٢ وما بعدها .

لشخص آخر ، وتميم لشخص غيره ، وقد ألزمتهم قريش بتأدية فروض الحج وقامت هي بكل ما يحتاجون إليه (٥٥) . ويؤكد الجاحظ أن قريشاً بقيت (لقاحا) حرة ، لم تدفع أية ضريبة لأحد ، وكانت لهـا (الرفادة) و (السقاية) الخ .

ويكرر الجاحظ في الفصل الثالث أن كل قريش كانوا حمسا وقد امتنعوا تدينا من الغزو والأسر ونكح السبايا عند أسرهن ووأد البنات ، ويقول كذلك : إن قريشا لم تزوج بناتها ما لم تشترط أن تكون ذريتهم حمسا . ولقد كانوا مجبرين – لسكناهم في واد مجدب – أن يجدوا وسائل رزق وحصلوا على الإ يلاف وقاموا برحلات إلى الملوك . . . (٥٦) .

وفي الفصل الرابع من تقرير الجاحظ حول الحمس تكرار ، ولكن هنالك بعض التفصيلات التي تستحق التنوية ، منها ذكر القوافل – يقول الجاحظ إن التجار ذهبوا إلى (أرض) قيصر في بيزنطة ، وإلى النجاشي في الحبشة ، وإلى المقوقس في مصر . وهذه هي الحالة الوحيدة التي تذكر فيها مصر كوجهة لتجار مكة . ويرسم الجاحظ في هذا الفصل ، خطاً بين حمس قريش وبين الذين صاروا حمسا ، حمس عامر بن صعصعة والحارث بن كعب ، لقد امتنعت قريش عن الغزو حين صارت حمسا ، بينما استمرت القبائل التي اقتنعت بفكرة الحمس على الغزو ، ونكح الأسيرات ، وأخذ الغنائم ، وقد ظلت قريش مع ذلك شجاعة (٥٧) .

(٥٥) الجاحظ : مختارات فصول ، مخطوط الورقة ٢٠٤ أ : « ... فيقتسمونهم ، فتكون غطفان للمغيرة ، وبنو عامر لكذا ، وتميم لكذا ... » عند الزبير بن بكار : نسب قريش ، مخطوط الورقة ١٢٨ ب خبر طريف حول تخصيص حصص من عشائر قريش . انهم (قريش) كانوا يعطونهم ملابس يلبسونها في الطواف حول الكعبة ، وكان الاعراب يخلعون ملابسهم التي جاءوا بها الى مكة ، وكان اهل مكة يعطونهم نصيبا من لحوم الاضاحي . ونزلت فزارة في بيت المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم . أول من منع المغيرة أن يعطى حصته من الجزور هو خشين بن لأى الفزاري الشمخي .. ، قارن ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٩٦/٤ ، وانظر ابن دريد : الاشتقاق ص٢٨٢ (ظويلم) . كلمة (حريم) ليست مدونة في المفردات كعطاء لقريش عن نزول البدو ، وهي مدونة في قصة ظويلم ومروية من قبل البلاذري في كتابه الانساب مخطوط الورقة ١١٠١ أ . وللفائدة ، البيت المستشهد به :

ونحن منعنا من قريش حريمهـا بمكة ايام التحالق والنحـر

ويذكر البلاذري أيضا قصة عمرو بن جابر بن خشين الذي كان يأخذ من كل أسـير من غطفان جملين ، وقد منعه ظويلم بن عرين عن أخذ الفدية . (قارن رواية ابن دريد السابقة) .

(٥٦) الجاحظ : مختارات فصول مخطوط الورقة ١٦ ب وما بعدها .

(٥٧) الجاحظ : مختارات فصـول ، مخطوط الورقة ٢٠٨ ب وما بعدها ، قارن الثعالبي : ثمار القلوب ص ٨ وما بعدها « أهل الله » ، ومغزى التعبير : وصاروا بأجمعهم تجارا خلطاء . لتعبير (أهل الله) انظر الفاكهي : المصدر السابق الورقة ٤١٥ ب – ٤١٦ أ ، الأزرقي : المصـدر السابق ٣٨٠ – ٣٨١ ، محمد حسين القزويني . شرح شواهد مجمع البيان ٦٢/٢ رقم ٣٣٦ ، سير الملوك ، مخطوط الورقة ١٧٧ أ .

يعد ابن الفقيه في روايته الذين اعتنقوا فكرة الحمس هم : خزاعة ، وعامر بن صعصعة وثقيف ، و « رجال قبائل » ، ويسجل الرواية حول الشرط المفروض على أشراف القبائل المتزوجين نساء من قريش ، ويذكر تفصيلات حول القيود المفروضة على الحجاج من غير الحمس ، فيقول : عليهم أن يتركوا مؤونتهم خارجاً عند دخول مكة ، وان يخلعوا ملابسهم التي يلبسونها خارج منطقة مكة ليلبسوا ملابس الحرم (التي يحصلون عليها شراء أو إعارة أو هدية) . وإذا لم يجدوا ملابس للإحرام فإنهم يؤدون الطواف عرايا . لقد ألزموا الحجاج أن يبدأوا (الإفاضة) من المزدلفة . وقد كانت قريش (لقاحا) لا تدين لدين الملوك ، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان ولم يؤد أهلها اتاوة (٥٨) .

ويذكر ياقوت الحمس ، وطبقاً لروايته فإن قريشا قد ضمت إلى جانبها بفكرة الحمس القبائل : كنانة ، وجديلة قيس ، وفهم وعدوان ثقيف وعامر بن صعصعة . ويذكر المشقة التي ألزموا بها أنفسهم ، والقيود المفروضة على الحجاج ، وأن أهل مكة كانوا (لقاحا) . ويقول كانت تحج إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم فيدينون للحمس من قريش ويرون تعظيمهم والاقتداء بآثارهم فرضاً وشرفاً عندهم (٥٩) .

وفي رواية للحلبي ذكرت مكة على أنها (دار الحمس) في أبيات تنسب إلى كاهن لهب(٦٠)

وينوه الحلبي بشروط زواج قريش ، ورفضهم للغزو الذي ارتبط بالسلب والنهب والاغتصاب(٦١) .

وتقدم المصادر تفصيلات حول فروض الحمس والتشديد في المشقة (٦٢) ، فكانوا يرون (الوقوف) في مزدلفة بدلاً من عرفات(٦٣) . لقد حبسوا أنفسهم خلال الحج في

(٥٨) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٨ .

(٥٩) ياقوت : معجم البلدان (مكة) .

(٦٠) كان اللهبي يعرف كرجل له علم خاص بزجر الطير انظر ولهاوزن :
Wellhausen: Reste p. 134.

ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٩١ ، السهيلي : الروض الانف ١١٨/١ .

(٦١) الحلبي : انسان العيون ٢٤٢/١ .

(٦٢) انظر محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨٠ : ياقوت : معجم البلدان (مكة) ، ابن العربي : محاضرات الابرار ١٦٢/١ ، ١٥٠ .

(٦٣) انظر ولهاوزن :

Wellhausen: Reste p. 77.
Rathjens: Die Pilgerfafrt pp. 72-73.

ولكن النبي لم يتبع الحمس في وقوفهم . انظر الذهبي : تاريخ الاسلام ٤٩/١ .

حدود الحرم ، ما كانوا يأكلون اللحم خلال الحج ، ولا كانوا يعدون اللبن الخاثر ، ولم يقيموا في ظلال البيوت ، ولم يدخلوا بيوتهم من الأبواب (٦٤) ، إلى آخره . ومن الواضح أنهم بالزام أنفسهم المشقة أرادوا أن يعبروا عن احترام الكعبة والحـــرم .

يربط الزمخشري الحذر (حمس) مع الجذر (حرم) . ويستخلص أن قريشا اكتسبوا مكانتهم الممتازة المبجلة لسكناهم الحرم . ودعوا أنفسهم « أهل الله » (٦٥) . ذلك أن فكرة الحمس كانت في الحقيقة مرتبطة بعبادة الكعبة ، وقد ثبت صراحة أن الكعبة كانت تسمى (الحمساء) (٦٦) .

من الواضح أن هذا الربط بين قريش والقبائل التي لها صلة بالحمس وسع علاقاتهم . ويلاحظ كاسكل أن عامر بن صعصعة لكونهم حمسا ، كانوا على صلة جيدة بسكان مكة (٦٧) وأن شاعراً وزعيما من بني عامر ، هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، أقسم بالشهر الحرام (٦٨) لبني أمية ، وأماكن قريش المقدسة ، والضحايا (٦٩) .

قال خالد بن جعفر عم عوف انه أول من كسا الكعبة بالديباج الذى غنمه من قافلة غزاها (٧٠) . وكان كعب وكلاب من بني عامر يدعيان « كعب قريش » و « كلاب قريش » (٧١) . ويذكر مالك بن نويرة من يربوع (تميم) الذى ينتسب للحمس حول بعض المعارك جماعة من الفرسان الذين أخبروا قريشا على أنهم (عمار) (٧٢) .

(٦٤) ولكن انظر الروايات المخالفة في تفسير الطبري (سورة البقرة آية ١٨٩) والســيوطي : الدر المنثور ٢٠٤/١ وما بعدها .

(٦٥) الزمخشري : الفائق (حمس) .

(٦٦) الفيروزابادي : القاموس (حمس) ، لقد جاء تفسير غريب للحمس في الايناس : المغربي مخطوط الورقة ٢٦ ب : « كانوا يدعون حمسا لانهم امتنعوا عن الخدمة في العمل ... » .

(٦٧) دائرة المعارف الاسلامية (عامر بن صعصعة) .

(٦٨) يعنى ذا الحجة .

(٦٩) الضبي : المفضليات القصيدة ٣٥ البيت ٤ ـ ٥ (ط لايل) :

وانى ومـــا حجت قريش ... محارمه وما جمعت حـــراء

وشـهر بني أميـة والهدايا ... اذا حبست مضرجها الدمـــاء

وانظر العصامي : سمط النجوم العوالي ٢١٨/١ : وانما سموا الحمس بالكعبة لانها حمساء حجرها ابيض يضرب الى السواد ، وانظر التعريف الهام للحمس في المصدر السابق ص ٢١٩ : لم تكن الحمس بحلف ولكنه دين شرعته قريش واجمعوا عليه .

(٧٠) السهيلي : الروض الأنف ٧٧/١ ، الآلوسي : بلوغ الارب ٢٣٤/١ .

(٧١) الضبي : المفضليات ص ٢٥٩ .

(٧٢) الاصمعيات القصـــيدة ٣٦ البيت ٣ (ط الوارد) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٩٢/٤ .

وكان النبي نفسه أحمس (٧٣) ، وكان حرمى عياض بن حمار المجاشعى التميمي . كان إذا قدم مكة طاف في ثياب النبي (٧٤) .

من الروايات المستشهد بها سابقاً نستطيع أن نحصل على فكرة بسيطة حول الحمس ، كان المبدأ الأساسي للحمس هو عدم انتهاك منطقة الحرم واستقلال (٧٥) وحياد مكة .

لقد وصف الشعور بالأمن في مكة من قبل أحد أشراف مكة في الأبيات الآتية :

فخـرنا والأُمـور لهـا قـرار ... بمكتنـا وبالبـلد الحـرام
وأنـا لا يـرام لنـا حـريم ... وأنـا لا نـروع في المنـام
وأنـا لا تسـاق لنـا كعـاب ... خـلال النقـع بـادية الخـدام
معـاذ الله من هـذا وهـذا ... فـإن الله ليس لـه مسـامى (٧٦)

إن البدوى لم يستطع أن يعود نفسه على حياة مكة الوادعة ، ولذلك يقول قيس بن زهـير العبسي :

تفـاخرني معـاشر من قـريش ... بكعبتهـم وبالبـلد الحـرام
فأكـرم بالـذى فخـروا ولـكن ... مغـازى الخيـل داميـة الـكلام

(٧٣) انظر المرزوقي : أخبار مكة ١٢٤/١ ، السيوطي : الدر المنثور ٢٠٤/١ وما بعدها .

(٧٤) انظر محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٤٧ ، أبو عبيدة كتاب الاموال ص ٢٥٦ ، ابن الكلبي : الجمهرة مخطوط الورقة ١٦٦ ، الطبرانى : المعجم الصغير ص ٣ ، ابن الجارود : المنتقى ص ٥٠٠ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٩٨١ ا ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢٥ (يفيد انه كان ابن عم الأقـرع بن حابس) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٩ ، ياقوت البلدان (حرم) ، ابن حجر : الاصابة رقم ٦١٢٣ ، أبو نعيم : حلية ١٦/٢ (يذكر انه أحد أهل الصفة) ، المجلسي : بحار الانوار ٢٩٤/٢٢ (يفيد أن عياضا كان قاضيا في عكاظ) .

(٧٥) يمكن أن يعرف رد الفعل الشديد للمكيين عندما يكون استقلالهم مهددا من قصة عثمان بن حويرث ، انظر الزبير بن بكار : نسـب قريش ، مخطوط الورقـة ٧٦ ، المصعب الزبيري نسب قريش ص ٢١٠ ، لسان العرب (لقح) ، أبو البقاء : مناقب مخطوطة الورقة ١٠ ب ، البلاذري : أنساب ٤ب/١٦٢ (انظر التعليقات) ، وانظر الزمخشري : ربيع الابرار ، مخطوط المتحف البريطاني رقم ٦٥١١ OR. الورقة ٨٣ب : ... لم تزل مكة حرسها الله أمنا ولقاحا ، قال حرب بن أمية :

أبا مطر هلم الى صـلاح ... فنكفيـك الندامى من قريش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهـم ... أبا مطر مـددت بخير عيش
وتنزل بلـدة عمرت لقاحـا ... وتأمن أن يـزورك رب جيش

كلمة (صلاح) توضح على انها اسم مكة ، وانظر المصدر نفسه الورقة ١١١٣ : ان ملك الحبشـة طلب من عبدالمطلب أن يدين له ، ولكن مكة كانت لقاحا ، وانظر المصدر السابق الورقة ٨٣ب : ان أهل مكة كانوا قد سئلوا من قبل بعض الملوك أن يعطوا الاتاوة ، ولكن عبدالمطلب رفض . (وقـارن مجلة « اربيكا » ١٥ سنة ١٩٦٨ ص ١٤٤ الملاحظة ٥) ، وانظر العصامي : المصدر السابق ٢١٣/١ ـ ٢١٤ ، ابن سعيد : المصدر السابق الورقة ١٠٣ السطر ٥ .

(٧٦) البلاذري : أنساب مخطوطة الورقة ١١٠٩٤ .

وطعـــن في العجـــاجة كل يـــوم نحـــور الخيـــل بالأســـل الـــدوامى
أحب إلى مـــن عيشـــ رخـــى مع القـــرشي حـــرب أو هشـــام
ومـــا عيش ابن جدعـــان بعيش يجـــر الخـــز في البـــلد التهامى (٧٧)

يلاحظ أن بعض الطقوس والعادات كانت في الحقيقة تعبيراً عن احترامهم للكعبة المقدسة . إن تنظيم الحمس هذا كان يشمل مختلف الوحدات القبلية – من ذلك وحدات تميم التي سكنت في مناطق مختلفة من الجزيرة ، وعرفت بصفاتها الحربية ، وكانوا على استعداد للقتال دفاعاً عن معتقداتهم في قدسية مكة .

يبدو أن « الإ يلاف » كان قد أقيم على أساس الحمس . والحمس هم النخبة التي تمتاز بصلاتها الوثيقة بالمكيين ، عن طريق طقوسهم وعاداتهم ، وكلا النظامين ، الحمس والإ يلاف كان له مغزى اقتصادى ، كما أن الصبغة الدينية ليست غريبة (٧٨) .

أما الناس الذين لم ينتسبوا إلى الحمس فكانوا « حلة » . والحلة تشمل – طبقاً لرواية ابن حبيب – كل تميم (غير يربوع ، ومازن ، وضبة ، وحميس ، وضاعنة ، والغوث بن مر) ، وكل قيس عيلان (عدا ثقيفا ، وعدوان ، وعامر بن صعصعة) ، وربيعة بن نزار كلها ، وقضاعة كلها (ما خلا علافا وجنابا) ، والأنصار ، وخثعم ، وبجيلة ، وبكر بن عبد مناة ابن كنانة (الفروع الأخرى من كنانة كانوا حمسا) ، وكذلك هذيل ، وأسد ، وبارق (٧٩) هذه الحلة – عند تأدية الحج – كانت تختلف تماماً في طقوسها خلال (الإ حرام) وخلال (الطـــواف) .

أما القسم الثالث الذى ذكره ابن حبيب فكانوا (الطلس) ويشمل قبائل من اليمن وحضرموت ، وهم عك وأياد (٨٠) .

(٧٧) المصدر السابق نفسه .

(٧٨) قارن :
Rathjens: Die Pilgerfafrt, p. 8. (... "Teilweise Religiös Getarnt...".

(٧٩) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٧٩ ، وقارن العصامي : سمط النجوم العوالي ٢١٩/١ .

(٨٠) ابن حبيب : المصدر السابق ، هناك مجموعات خاصة تستحق الذكر ، أولئك هم البسل ، تدل كلمة « بســـل » على مدلولات تماثل الافكار المتضمنة في كلمـــة « حمس » : هي الجراة والشجاعة والاقدام من جانب ، وحماية (الحرم) من جانب آخر . كان « البسل » عامر بن لؤي (أو عوف بن لؤي ، أو مرة بن عوف بن لؤي) . ذكروا أن البسل ثمانية أشهر حرم كانت لقوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس . انظر الكلاعى الاكتفاء ٧٨/١ ، ابن كثير : البداية ٢٠٤/٢ ، لسان العرب (بسل) ، ابو ذر : شرح السيرة ص ٢٣٣ ، البسل كانوا قريشا ، لانهم كانوا اهل مكة ، ومكة حرم .

إن التقسيم إلى مجموعات ثلاث ــ حمس ، حلة ، طلس ــ يقابل بتقسيم آخر وهذا قسم القبائل وفق قبولهم قدسية مكة : ١ ــ المحرمون ٢ ــ المحلون . يشمل المحرمون الحمس وبعض القبائل من الحلة الذين يؤدون الحج . أما المحلون فلم يأبهوا بقدسية مكة ، ولم يحترموا الأشهر الحرم ، وقد كانوا خطراً على مكة .

يعد الجاحظ في المحلين : كل طيٍّ ، وخثعم « ممن كان لا يرى للحرم ولا للشهر الحرام حرمة » . ويقول : ومن المحلين كذلك عدة عشائر من قضاعة ، ويشكر ، والحارث بن كعب . كانوا أعداء بسبب اختلاف دينهم واختلاف نسبهم (٨١) .

وضد هؤلاء المحلين قال صاحب الموسم قوله المشهور في هدر دماء المحلين : « . . . وإني قد أحللت لكم دماء المحلين من طيٍّ وخثعم فاقتلوهم حيث وجدتموهم إذا عرضوا لكم » (٨٢) .

يذكر اليعقوبي المحلين ، الناس الذين يعتبرون شرعا مرتكبين للمظالم في هذه الأسواق كانوا فئات من أسد ، وطيٍّ ، وبكر بن عبد مناة ، ومن عامر بن صعصعة (٨٣) . من الواضح أنه كان من الضروري إتخاذ بعض الخطوات لحراسة الأسواق الحرة (٨٤) لمكة من القبائل المعادية والعناصر المتمردة مثل قطاع الطرق واللصوص .

ويذكر اليعقوبي : وكان من ضمن القبائل ناس حرموا هذا و « نصبوا أنفسهم » لمساعدة المظلوم وحقن الدماء ومنع اقتراف الجرائر ، كانوا يدعون « الذادة المحرمين » ، كان هؤلاء من عمرو بن تميم ، وبنى حنظلة بن زيد مناة (بن تميم) ، وهذيل ، وشيبان ، وكلب بن وبرة ، كانوا يحملون الأسلحة (في الأشهر الحرم) . وكانت القبائل تنقسم إلى أناس يتجردون من أسلحتهم خلال الأشهر الحرم ، وآخرين يحملون أسلحتهم .

إن تقرير اليعقوبي مهم ، فهو يلقي الضوء على دور بعض الجماعات من تميم الذين

---

(٨١) الجاحظ : الحيوان ٢١٦/٧ وما بعدها ، قارن النجيرمي : ايمان العرب ص ١٢ ، محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٩ وما بعدها .

(٨٢) البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٩٠٠ب ، وللفائدة نذكر هذا البيت للحطيئة :

علام أك محرما فيكون بيني وبينكم المودة والاخاء

ديوان الحطيئة ص ١٠٠ ــ ١٠١ ، وفي الشرح : « المحرم المسالم الذي يحرم دمه عليك ودمك عليه » .

(٨٣) اليعقوبي : تاريخ ٢٢١/١ .

(٨٤) راجع محمد بن حبيب : المحبر ص ٢٦٧ : « ولم تكن فيها (أي عكاظ) عشور ولا خفارة » .

نصبوا أنفسهم كقوة طوارئ ضمن القبائل للدفاع عن مكة وأسواق مكة .

ينبغي أن نتذكر القطعة المهمة للجاحظ المستشهد بها سابقاً (٨٥) ، حيث فسر الإ يلاف كضريبة فرضت على القبائل لأجل الدفاع عن مكة من « ذؤبان العرب » قطاع الطرق والقبائل المعادية التي ما كان يمكن أن يسيطر عليها دون ذلك ، وربما كان الإ يلاف يشمل بعض النقاط حول أجور المتطوعين لحراسة الأسواق وحراسة مكة .

ويقـــدم المرزوقي تفصيلات إضافية حول هؤلاء المتطوعين (Militia) (٨٦) كانت العرب تنقسم إلى ثلاثة أهواء مختلفة حول الأشهر الحرم :

١ ــ ناس يرتكبون الأعمـــال المحرمة ، وهؤلاء هم (المحلون) الذين لا يحترمون قدسية الحرم ، يسرقون في الحرم ويقتلون .

٢ ــ وناس يمتنعون عن ذلك ويحترمون الأشهر الحرم « يحرمون الأشهر الحرم » .

٣ ــ وناس اتبعوا المبدأ الذى شرعه لهم (٨٧) صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاوية ابن شريف بن عمرو بن تميم ، إنه هو الذى شرع لهم مقاتلة المحلين .

هذه الرواية التي نقلها ابن الكلبي (عن أبيه) قد دحضت من قبل ابن الكلبي وأبي خراش فهما يقرران : « ذلك زعم بني تميم ، والثابت من وجهة نظرنا أنه كان القلمس وأسلافه ، إنه هو الذى كان ينسئ الأشهر » . إن تفنيد ابن الكلبي وأبي خراش لا يشير إلى كل الرواية

---

(٨٥) انظر ما سبق رسائل الجاحظ ص ٧٠ ، والقطعة تجرى عند الجاحظ كالآتي : « وقد فسره قوم بغير ذلك . قالوا : ان هاشما جعل على رؤوس القبائل ضرائب يؤدونها اليه ليحمى بها أهل مكة . فان ذؤبان العرب وصعاليك الاحياء وأصحاب الطوائل كانوا لا يؤمنون على الحرم ، لا سيما وناس من الاعـــراب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحـــرام قدرا ، مثل طيء وخثعم وبعض بلحارث ابن كعب » .

(٨٦) المرزوقي : الامكنة ١٦٦/٢ .

(٨٧) ترجمة حميد الله Le Prophéte, R 605

غير مضبوطة ، فهو يجعل النص كالآتي :

... Mais Les Gens Se Partageaient En Trois Groupes á Ce Propos: Ceux Qui Pratiquaient L'abomination ... Ceux Qui S'en Abstenaient... Et Enfin Les Fantaisistes (أهل الأهواء) Partisans Au Tamimite.. "

ان النص يتحدث عن ثلاثة أهواء حيث كان الناس منقسمين : « وكانت العرب في أشهر الحج على ثلاثة أهواء : منهم ... ومنهم ... ومنهم أهل هوى شرعه لهم صلصل ... الجماعة التي انشئت من قبل صلصل لم تكن Fantaisistes ان تعبير « أهل هوى » ليس Peiorative انه يقابل في دلالته التعبير المستعمل في المجموعة السابقة .

حول صلصل ، إنه يشير فقط إلى عبارة : « فإنه أحل قتال المحلين » . يبدو أن ابن الكلبي يشير صراحة إلى الذى ينسئ الأشهر ، وقـــد كان المنسئ ((Intercalator)) في الحقيقة هو الذى صرح بقتال المحلين ، ولكن جماعة صلصل (المحرمين ــ الذادة) هم الذين نفذوا مضمون هذا التصريح .

وهناك رواية غريبة سجلها الشهرستاني (٨٨) تزعم أن القلمس (في النص المتلمس) ابن أمية الكناني كان على دين بنى تميم . ويسجل العصامي (٨٩) رواية ابن الكلبي ، مقتبساً إياها من كتاب الفاكهى تاريخ مكة . هذه الرواية لها قطعة إضافية حيث يبدو أنها على جانب من الأهمية . تقول الرواية : إن جماعة صلصل اعتادوا أن ينزلوا على بئر في جوار منى يدعى بئر صلصل، ومن هذا المكان كانوا يتفرقون لكى يلتقوا بمجموعات مختلفة من الناس(٩٠)

يبدو أن الرواية حول (محرمين ــ ذادة) صحيحة ويمكن الركون إليها ، فأسيد ، قبيلة صلصل ، كانت على صلة وثيقة بمكة . وبعض بني أسيد جاءوا إلى مكة وأصبحوا أصدقاء لأسر ذات نفوذ فاكتسبوا مالاً ، وتزوجوا نساء من أسر شريفة ، وصاروا من مواطنى مكة المبجلين ، وكان النفوذ لآل أسيد من بنى النباش ، وكانت بيوتهم في جوار الكعبة (٩١) ، وكان الأعشى بن زرارة بن النباش قد بكى على نُبيه ومنبه ولدى الحجاج ابن عامر ، اللذين قتلا في بدر (٩٢) ، وأم بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار هي ابنة النباش بن زرارة (٩٣) .

وينسب أحد جبال مكة إلى بنى النباش (٩٤) . وفي رواية ملفقة ــ ربما تتضمن شيئاً من الصدق ــ تزعم أن أكثم بن صيفى ، الحكيم المشهور من بنى أسيد ، اقتبس حكمته من

(٨٨) الملل والنحل ص ٤٤٣ (ط كرتون) .
(٨٩) المصدر السابق ٣٣٣/١ .
(٩٠) انظر حول هذه البئر الازرقي : المصدر السابق ص ٤٤٢ .
(٩١) الزبير بن بكار : نســـب قريش مخطوط الورقة ٨٨ب ، الفاسي : شفـاء الغرام ١٤٠/٢ وما بعدها .
(٩٢) ابن هشام : الســـيرة ١٦/٣ ، الزبير بن بكار : نســـب قريش مخطوط الورقة ١٨٢ب ، ابو الفرج : الاغاني ٦٠/١٦ .
(٩٣) الزبير بن بكار : المصدر السابق الورقة ٨٩ب ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٥٤ ، وانظر المناقشة حول كاتب (الصحيفة) عند السهيلي : الروض الانف ٢٣٢/١ .
(٩٤) الازرقي : اخبار ٤٩٠/١ ، ياقوت : بلدان (شيبة) .

قصى ، وعبد مناف ، وهاشم ، وأبي طالب (٩٥) ، ورواية ملفقة أخرى تزعم أن أكثم تعلم (النسب) من عبد المطلب (٩٦) ، وينتسب إلى أسيد كذلك أو (أو ثاني) زوج لخديجة ، وهو أبو هالة .

إن أسرة أوس بن مخاشن كانت من الأسر الشريفة ، وأحفاد أوس بن مخاشن كانوا سدنة شمس ، الصنم الذى عبدته ضبة ، وتميم ، وعكل ، وعدى ، وثور (٩٧) ، فكسره هند ابن خديجة وصفوان بن أسيد من بنى مخاشن (٩٨) ، وتزوج صفوان هذا درة ابنة أبي لهب ، فولدت له ولديه عوف والقعقاع (٩٩) ، أما مخاشن بن معاوية بن جروة بن أسيد فكان يدعى « ذو الأعواد » (١٠٠) ، وكان صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية ابن جروة بن أسيد ، أبو أكثم يدعى « ذو الحلم » أو « ذو الأوبار » (١٠١) (بسبب قطعان الإبل الكثيرة التي كان يمتلكها) ، وكان ربيعة بن مخاشن ووالده مخاشن من المبجلين « حكام العرب » (١٠٢) . أما صلصل الذى يعزى إليه إنشاء نظام (المحرمين — الذادة) فكان على صلة وثيقة جداً بمكة ، كان له « الموسم » وقضاء عـــكاظ (١٠٣) .

إن الواجبات المعهود بها إلى تميم في مكة وفي أسواق مكة ، دليل مقنع على الدور المهم الذي لعبته تميم في ترسيخ قوة مكة الاقتصادية . كانت تميم مقلدة سلطة « الإفاضة » في مكة نفسها مع الاشراف على سوق عكاظ . كانت عكاظ إحدى الأسواق المهمة ، لأن الرأى القبلي السائد هنا يستطيع أن يعبر عن نفسه في أدبه ، وسياسته ، وأشكاله الاجتماعية (١٠٤) .

(٩٥) المجلسي بحار الانوار ٣٩/٦ .
(٩٦) ابو البقاء : مناقب مخطوط الورقة ١٩٦ .
(٩٧) محمد بن حبيب : المحبر ص ٣١٦ .
(٩٨) المصدر السابق ، وانظر ابن حجر : الاصابة رقم ٤٠٧٦ ، ٤٠٧١ .
(٩٩) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١٩٩ وما بعدها .
(١٠٠) الهمداني : الاكليل ٢/١ مخطوط الورقـــة ١١٧٨ (مخاشن) ، محمد بن حبيب : المحبر ص ١٣٤ (ربيعة بن مخاشن) ، الانباري : مفضليـــات ٤٤٧ (ربيعة) اليعقوبي : تاريخ ٢١٤/١ (مخاشن) ، الفرزدق : الديوان ص ٥٠٣ رقم ٢ ، ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤٢٧/٣ .
(١٠١) الهمداني : المصدر السابق ، ابن الاثير : المرصع ص ٨٢ (تنسب لاكثم أيضا) .
(١٠٢) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٣٤ ، العسكرى : جمهرة الامثال ص ١٠٤ .
(١٠٣) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨٢ .
(١٠٤) قارن المرزوقي : الامكنة ١٦٥/٢ ، ١٧٠ ، المرزوقي : شرح الحماســـة ص ١٥١٤ ، ولهاوزن :
Wellhausen: Reste, p. 84-86. Ruhl: Das Leben Muhammeds, pp. 49 50, 105.

إن مشاركة تميم في سوق عكاظ وتعاونها ، قد ساعد قريشا أن تتفادى المنافسة وتؤمن لها النفوذ في هذه الأسواق (١٠٥) .

لقد حدد ابن حبيب مشاركة تميم في نظام المكيين على الوجه الآتي : « كان قادة (أئمة) القبائل (بعد عامر بن الظرب) في الموسم وقضاتهم في عكاظ هم بنو تميم ، وكان سدنتهم على دينهم وأُمناؤهم على (قبلتهم) هم قريش ، وكان الممثلون الحازمون للدين هم بنو مالك بن كنانة » (١٠٦) . ويعطي ابن حبيب قائمة بأسماء رؤساء تميم الذين اجتمع لهم الموسم والقضاء في عكاظ وهم : ١ ــ سعد بن زيد مناة بن تميم ٢ ــ حنظلة بن زيد مناة بن تميم ٣ ــ ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ٤ ــ مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ٥ ــ ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ٦ ــ معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو ابن تميم ٧ ــ الاضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ٨ ــ صلصل بن أوس ابن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد ٩ ــ سفيان بن مجاشع ، وكان سفيان آخر رجل اجتمع له الموسم والقضاء بعكاظ . فمات سفيان فافترق الأمر فلم يجتمع الموسم والقضاء لأحد منهم حتى جاء الإسلام فكان محمد بن سفيان يقضي في عكاظ ، فصار ميراثاً لهم ، فكان آخر من قضى بينهم الذي وصل إلى الإسلام هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع . وأجاز بالموسم بعد صلصل ، العلاق بن شهاب بن لأي من بني عوافة بن سعد (١٠٧) .

وكان آخر رجل يجيز بأهل الموسم في الجاهلية (عند ظهور الإسلام) هو كرب بن

---

(١٠٥) يبدو أن رأي راثجنس :

Rathjens: Die Pilgerfahrt p. 70.

بأن هناك منافسة بين سوق مكة وسوق عكاظ لا يستند الى اساس .

(١٠٦) محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨١ وما بعدها ، كان بنو مالك بن كنانة من عشيرة المنسىء .

(١٠٧) ان زينب بنت علاق بن شهاب بن عمرو من بني عوافة بن سعد بن زيد مناة كانت جدة عمر بن عبدالعزيز ، انظر ابن حبيب : المحبر ص ٢٧ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ١٠٤٩ب ، وابنه عتاب (بن العلاق) أخذ عطاء الـ ٢٥٠٠ درهم من عمر ، البلاذري : المصدر السابق الورقة ١١٠٥٠ ، ابن الكلبي : الجمهرة مخطوط الورقة ١٨٣ ، وكان علاق قد قال انه آمن بالله وبيوم البعث ، الشهرستاني : الملل ص ٤٣٩ .

صفوان (١٠٨) . ويقدم البلاذري في رواية عن ابن كناسة جريدة بأسماء قضاة تميم ، وهي مطابقة تقريباً لجريدة المحبر (١٠٩) ، وهي تطابق أيضاً جريدتي النقائض (١١٠) وأمكنة المرزوقي (١١١) ، وينقل ابن حزم في فصل ساقط من طبعة ليفي روفنسال (١١٢) ان تميما أُعطيت القضاء في عكاظ و (الإ فاضة) بعد أن كانا بيد عدوان ، وكان آخر بني عدوان عامر بن الظرب وأبي سيارة . وآخر رجل قام بوظيفة الإ فاضة عند ظهور الإ سلام كان كرب بن صفوان ، وآخر قاض كان الأقرع بن حابس .

لقد ورثت تميم واجبات (الرمي) و (النفر) و (الاجازة) من صوفة كما يقرر ابن حزم . ويشيد الشعراء التميميون في قصائدهم بالواجبات التي قضتها تميم ، فالفرزدق يفتخر بواجب (الحكم) الذي قام به أحد أجداده :

وعمى الذي اختارت معـد حـكومة على الناس إذ وافوا عـكاظ بها معا
هو الأقرع الخير الذي كان يبتـني أواخي مجد ثابت أن ينـزعا (١١٣)

وكذلك فاخر جرير بوظيفة القضاء :

ونحـن الحاكمـون على قـلاخ كفينا ذا الجريـرة والمصـابا (١١٤)

(هناك اختلاف في الرواية : ونحن الحاكمون على عكاظ) (١١٥) .

وهناك بيت لحسان بن ثابت له دلالته الهامة ، يشير فيه إلى واجبات تميم في الأسواق

وأفضل ما نلتم من المجـد والعـلى ردافتنا عند احتضـار المواسم (١١٦)

---

(١٠٨) انظر ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١٨١ ، ابن حزم : جمهرة أنسـاب العرب ص ٢٠٨ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ١٠٤٤أ كان ضمرة بن جابر بن نهشل قد تزوج ابنته هندا . الضبي : أمثال العرب ص ٨ .

(١٠٩) البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ١٠٤٤ب لكن مازنا متبوع بمعاوية بن شريف ، وصلصل متبوع بعلاق .

(١١٠) النقائض ٤٣٨ : ثعلبة بن يربوع يتبع بمعاوية بن شريف ، ولكن معـاوية بن شريف متبوع بجروة بن أسيد . وذلك خطأ واضح ، اقرأ الى « ثم : ابن » .

(١١١) المرزوقي : الامكنة ١٦٧/٢ .

(١١٢) حمد الجاسر : نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب مجلة المجمع العربي ـ دمشق ١٩٥٠ ص ٢٤٨ وما بعدها .

(١١٣) الفرزدق : الديوان ص ٥٠٢ ط الصاوي .

(١١٤) جرير : الديوان ص ٦٧ ، النقائض ص ٤٣٧ .

(١١٥) انظر النقائض ص ٤٣٨ ، جرير : الديوان ص ٦٧ ، ياقوت : بلدان (قلاخ) .

(١١٦) حسان : الديوان ص ٣٨٥ (ط البرقوقي) .

هذا البيت هو الرابع عشر من قصيدة لحسان حيث كان يجيب على قصيدة وفد تميم حين قدم مكة لمقابلة النبي سنة ٩ هـ لقد حلل عرفات القصيدة (١١٧) واستنتج أن هذه القصيدة على الرغم من نسبتها إلى حسان ، نظمت في الحقيقة من قبل أحد الأنصار في فترة متأخرة . ولسوء الحظ أن عرفات لم يحلل هذا البيت ، واستنتاج عرفات ، مع أنه غير مقبول حتى الآن ، فإن البيت له أهميته ، فيؤخذ على فرض أن هناك شاعراً أنصارياً مهتماً بهجاء تميم – إنه لم يتذكر هذه العلاقة بين مكة وتميم . في العصور المتأخرة حين صارت قريش محترمة جداً في المجتمع الإسلامي – إن (ردافة) قريش لم تكن سبّة .

يلاحظ عرفات أن قصيدة حسان « تنقسم بوضوح إلى قسمين . الأبيات الثمانية الأولى فخر واعتزاز في أول شخص جمع بجدارة نفس الأسلوب الذي تميزت به قصائد الأنصار المتأخرين ، وبعضها ينسب لحسان . وأما الأبيات الستة المتبقية فتهديد وسباب موجه إلى بني دارم » (١١٨) . نحن لا نعني هنا بالأبيات الثمانية من القصيدة التي احتوت مديح الأنصار والتأكيد على مساعدة الأنصار للنبي . ربما كان عرفات على حق في افتراضه أن هذه الأبيات كانت قد نظمت من قبل أنصارى من جيل متأخر ، ولكن لماذا يقذف هذا الأنصارى المتأخر تميماً بهذا الشكل العنيف .

ومن البداية ربما يلاحظ أحد أن الأبيات الستة لقصيدة حسان (٩ – ١٤) هي جواب عن قصيدة للزبرقان بن بدر (١١٩) . يمدح الزبرقان في أربعة أبيات قبيلته ويذكر مآثرها . وتشكل أبيات حسان في الحقيقة جواباً « نقيضة » لأبيات الزبرقان . إن بيت حسان المذكور سابقاً يصلح جواباً للبيت الأول من قصيدة الزبرقان :

أتيناك كيما يعلم النـــاس فضلنـــا إذا احتفلوا عند احتضـــار المواســـم

يبدو أن البيت يشير إلى الواجب الذى تؤديه تميم في الأسواق . إن جواب حسان – دفاعاً عن النبي – صريح : ما أنتم إلا « ارداف » لنا في الأسواق ، وذلك أقصى فضل استطعتم

(١١٧) وليد عرفات .

W. Arafat: "An interpretation of the Different Accounts of the Visit of the Tamim Delegation to the Prophet A.H. 9", BSOAS 1955 pp. 416-25.

(١١٨) المرجع السابق ص ٤٢٢ .

(١١٩) ابن هشام : السيرة ٢١١/٤ ، اســـتشهد المرزباني ببيتين : معجم الشعراء ص ٢٩٩ ونسبهما الى عطارد بن حاجب (نسبا كذلك الى الأقرع بن حابس) .

بلوغه . لقد كان من الأفضل أن يوضع هذا البيت بعد البيت العاشر من القصيدة ، وبذلك تجتمع ثلاثة أبيات يدحض فيها حسان مزاعم تميم بالفضل . وتكون الأبيات الثلاثة الأخرى (١١ ــ ١٣) وحــدة في التهــديد على اعتناق الإسلام .

إن الهجــاء القاسي في أبيات حسان ليس غريباً ، لقد كان حسان معروفاً بذكر سقطات مناوئيه وفشلهم في الحروب وضعة الأنساب ، يذكر ذلك في شعره دفاعاً عن النبي (١).

يفند عرفات صحة أبيات حسان ويلاحظ : « إلا أنه على أية حال من المشكوك فيه أن تتفق هذه الأبيات مع أخلاق النبي وهو ذلك السياسي العظيم بأن يسمح بمثل هذا الهجاء والتهديد ليكون موجهاً في مثل هذا الموقف ضد وفد مشهور لقبيلة عظيمة » (٢) . قد تكون حجة عرفات مقبولة ، ولكن هناك رواية ربما تعطى جواباً معقولاً للسؤال الذى طرحه عرفات ، فطبقاً لرواية جاءت في السيرة الحلبية (٣) كانت هناك مفاخرة بين الأقرع التميمي (٤) وبين حسان ، حيث كان الرسول حاضراً . أنشد الأقرع قصيدته وأجاب حسان بنقيضته . وحين سمع النبي قصيدة حسان قال للأقرع : « لقد كنت غنياً أن تذكر بأمور أنت تعلم أن الناس قد نسيتها » . وكلام النبي هذا ــ كما يقول الكلبي ــ كان أشد وقعاً على الأقرع من أبيات حسان .

ليس من الغريب أن هذا البيت الرابع عشر لحسان كان قد حذف من المصادر المتأخرة . وأن واجب تميم قد نسى أيضاً ، وما كان يذكر إلا من قبل شعراء تميم فقط في صدر الإسلام. إن الأسواق القديمة كان قد أنهى وجودها ، وإن البيت لا يمكن أن ينتفع به في مجال المفاخرة أو الهجاء . ويقدم الشرح الحديث للبرقوقي التفسير الآتي ، يقول حسان : « خير لكم أن تسلموا إذ لو أنتم اسلمتم لكان لكم الشرف الأعلى لأنكم ستكونون معنا في جميع المحافل وهذا خير ما تسعون إليه » (٥) . إن من الصعوبة أن يقبل هذا الشرح ، فإن « وأفضل ما

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٦ ، الزرقاني : شرح المواهب ٣/٣٧٦ .

(٢) عرفات : المرجع السابق ص ٤٢٣ .

(٣) الحلبي : انسان العيون ٣/٢٢٨ ــ ٢٢٩ .

(٤) ان الاكثر قبولا أن تكون أبيات الشاعر التميمي منسوبة الى الاقرع أو عطارد بن حاجب ومن المقبول جدا أن الزبرقان السعدي كان قد مدح دارما : « وان ليس في أرض الحجاز كدارم » وقد وجهت أبيات حسان أيضا الى دارم لا تفخروا » .

(٥) حسان : الديوان ص ٣٨٥ .

نلتم » لا يشير إلى المستقبل ، بل إلى الماضي ، لقد كان البيت هجاء في زمن حسان سنة ٩ هـ : ما أنتم إلا أرداف لنا (لقريش) في الأسواق .

البيتان ١١ – ١٢ من القصيدة (البيت الثالث من القسم الثاني) يصف موقفاً حقيقياً : « إذا جئتم لتحفظوا أنفسكم فلا تقتلوا ، وأموالكم فلا تغنم وتقسم على المجاهدين ، فلا تجعلوا لله شريكاً وأسلموا ولا تلبسوا زياً كزى الأعاجم . . . » (٦) .

وبيان الحال في هذه الأبيات ذكر بوضوح في أبيات للفرزدق . إن قول حسان بأن الأسرى التميميين يمكن أن يباعوا في الأسواق – لا يمكن أن يعتبر خاليا من التهديد .

يفاخر الفرزدق بدارم قائلاً :

وعند رسول الله إذ شد قبضه ... ومُلِّيء من أسرى تميم أداهمه
فرجنا عن الأسرى الأداهم بعدما ... تخمط واشتدت عليهم شكائمه (٧)

وفي قصيدة أخرى يؤكد الفرزدق أن سراح الأسرى كان ناتجاً عن شفاعة الأقرع لهم عند النبي :

وعند رسول الله قام ابن حابس ... بخطة سوار إلى المجد حازم
له أطلق الأسرى التي في حباله ... مغلقة أعناقها في الاداهم
كفى أمهات الخائفين عليهم ... علاء المفاذى أو سهام المساهم (٨)

وفي رواية عن الكلبي (تصلح شرحا لهذه الأبيات) ، تفيد أن الأقرع تشفع في أسرى بنى عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، ووعد بدفع الفدية نيابة عن قومه (٩) ، ويبدو أن أشعار حسان في تميم صحيحة .

وربما يتفق المرء مع عرفات حول ركة أبيات حسان هذه ، ولكن هذا لا يقوم برهانا كافياً بأن هذه الأبيات ليست من نظم حسان . إن أمثال هذه الأبيات ليست غريبة على الهجاء السياسي .

---

(٦) عرفات : المرجع السابق ص ٤٢٣ .
(٧) الفرزدق : الديوان ص ٧٦٧ ، النقائض ٧٤٨ .
(٨) الفرزدق : السابق ص ٨٢٦ ، النقائض ص ٧٤٧ : « مغللة أعناقها » .
(٩) نقائض ص ٧٤٧ هناك روايات أخرى : « أو سهام المقاسم » تشبه كثيرا تعبير بيت حسان .

إن مشكلة وفد تميم تستحق أن تعالج على انفراد . فإن الواجبات المتوارثة لتميم في السوق، والتي نوقشت فيما سبق ، كانت قد أكملت بالواجبات المهمة التي أديت من قبل أقرباء تميم خلال مواسم الحج . تقدم سيرة ابن هشام الرواية التالية حول وظائف زعماء تميم في مواسم الحج :

« كان الغوث بن مر بن أد بن الياس بن مضر يلي الاجازة بالناس في الحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده من بعده صوفة ، وإنما ولي ذلك الغوث بن مر لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت إن هي ولدت ولدا أن تصدق به على الكعبة عبداً لها ، يخدمها ويقوم عليها ، فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم . فولي الاجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مر بن أد مشيرا إلى وفاء نذر أمه :

إني جعلت ربِّ من بنيـــه
ربيطـــة بمـــكة العليـــة
فباركـــن لي بهـــا أليـــه
واجعله لي من صـــالح البريـــه

وكان الغوث بن مر – فيما زعموا – إذا دفع بالناس قال :

لا هم اني تـــابع تبـــاعـــه
إن كان اثم فعـــلى قضـــاعه

روى يحيى بن عباد بن الزبير عن أبيه قائلاً : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر اتوا لرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمي للناس ، لا يرمون حتى يرمي ، فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك ، فيقول : لا والله حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : « ويلك قم فارم » فيأبى

عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه . فإذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزي صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك حتى انقرضوا . فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد ابن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شجنة ، وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كرب بن صفوان .

وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

ولا يريمون في التعريف موقفهـــم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا (١٠)

إن أبيات ابن مغراء كثيراً ما يستشهد بها ، وأهمية واجب كرب بن صفوان تتواتر (١١) وهذا البيت لاوس بن مغراء ذو دلالة وأهمية أيضاً :

ترى ثنانا إذا مـا جـاء بدأهـم وبدؤهم إن أتانا كان ثنيـانا (١٢)

وقد ذكرت اجازة الصوفة في أبيات مرة بن خليف :

إذا ما أجازت صوفة النقب من منى ولهـا قتار فوقـه سفع الـدم

رأيت الإيـاب عـاجلاً وتبعّثـت علينـا دواع للربـاب وكلثم (١٣)

(١٠) ابن هشام : السيرة ١/١٢٥ وما بعدها ، ترجمة هذه الفقرة المستشهد بها كلها أخذت من :
Guillaume: The Life of Muhammad p. 49-50.
قارة ابن كثير : البداية ٢/٢٠٦ .

(١١) المبرد : نسب عدنان وقحطان ص ٩ ، محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨٣ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ١٠٤٤ ، القالى : أمالى ٢/١٧٦ ، البكري : سمط ص ٧٩٥ ـ ٧٩٦ ، ابن قتيبة : الشعر ص ٢٦٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢/٢٢٢ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ٣/٤٢٦ ، ابن ولاد : المقصور والمدود ص ٢٤ .

(١٢) لسان العرب (ثنى) .

(١٣) المرزباني : معجم الشعراء ص ٣٨٢ .

ويفتخر شاعرا تميم جرير والفرزدق باجازة قبيلتيهما (١٤) من مكة ، ويعد بيت الفرزدق حول اجازة تميم أفخر بيت :

إذا هبط النـــاس المحصب من منى عشية يوم النحـــر من حيث عرفـــوا
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنـــا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا (١٥)

ويقـــول جرير :

وجـــواز الحجيـــج لنـــا عليـــكم وعـــــاديّ المـــكارم والمنـــار(١٦)

ويقول العجاج واصفاً جمع الحجيج :

حتى إذا ما حـــان فطـــر الصـــوّم أجـــاز منـــا جـــائز لم يوقـــم (١٧)

تعين أشعار الشعراء التميميين السابقة بوضوح التعاون بين قريش وتميم ، وفي الحقيقة

---

(١٤) تقرر الرواية أن صوفة كان سليل الغوث بن مر (يدعى الربيط ، أو صوفة) نقل الرواية ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٦٠ أ ، وقد بادوا ، محمد بن حبيب : مختلف القبائل ص ٩ ، البلادري : أنساب مخطوط الورقة ٩٥٦ ب ابن قتيبة : المعارف ص ٣٤ (الغوث بن مر صـاروا باليمن ويقال لها صوفة) ، الكلاعي : الاكتفاء ١٣٢/١ وما بعدها وانظر ولهاوزن Reste p. 77. ، كايتاني : حوليات ١٠٥/١ ، هناك روايات مختلفة حول صوفة ، ينقل الارزقي : أخبار مكة ١٢٨/١ : كانت الافاضة في الجاهلية الى صوفة ، وصوفة رجل يقال له أخزم بن العاص من بني مازن بن الاسـد . وكانت للغوث بن صوفة وأمه امرأة من جرهم الافاضة بالناس على الموقف ، جعلها اليه حبشـية بن سلول من خزاعة ، وكان حبشية يومئذ يلي حجابة الكعبة وأمر مكة . ثم صـارت الافاضة في عدوان بن عمرو بن قيس عيلان الى زيد بن عدوان في زمن قريش ، حتى كان الذي قام عليه الاسلام أبو سيارة .

يسجل المقدسي (كتاب البدء ١٢٧/٤) ان صوفة كانوا جماعة من جرهم أعطوا حق الاجازة ، وقد دحروا في معركة مع قصى . يذكر ياقوت أن الاجازة كانت أولا في عهدة ناس خزاعة ثم انتقلت الى عدوان ، ثم صارت الى أبى سيارة ، وأخيرا صارت الاجازة الى الغوث بن مر بن أد (البلدان « ثبير ») . ويذكر ياقوت في فقرة أخرى أن قبيلة من جرهم اسمها صوفة بقيت بمكة تلى الاجازة بالناس من عرفة مدة ، وفيهم يقول الشاعر :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقـال أجيزوا آل صفوانا

(ياقوت : البلدان « مكة ») . وقد انتقل هذا الامتياز الى خزاعة ، ثم تحول أخيرا الى عدوان (ابى سيارة) ، ثم عزل قصى أبا سيارة وقومه . وطبقا لرواية السجستاني (المعمرون ص ٥١) أن صوفة يقوم بالاجازة يوما ، وفي اليوم الآخر تؤدى من قبل عدوان (انظر السابق ص ٣٤) .

(١٥) ابن رشيق : العمدة ١٣٧/٢ ، العســكري : ديوان المعاني ٧٨/١ ، الفرزدق : ديوان ص ٥٦٦ (ط الصاوي ، هناك خطأ مطبعي : أومأنا الى النار ، بدلا من : الى الناس) ولكن القالى : الامالى (ذيل ١١٩ وما بعدها) وابن رشيق : العمدة ٢٦٩/٢ .

(١٦) جرير : ديوان ص ٢٩٨ .

(١٧) العجاج : ديوان ص ٦٠ ط اهلوارد .

إن قريشا قلدت تميما وظيفتين كبيرتي الأهمية في دينهم وحياتهم الاقتصادية : « الحكومة » و « الاجازة » (١٨) . ويدل هذا على أن تميما كانت في الحقيقة قوية وذات نفوذ ، وقد قدمت لمكة خدمات عظيمة الأهمية .

إن اشارة ولهاوزن بأن منح الاجازة إلى صوفة (وأخيراً إلى تميم – ك) يرى بأن مكة لم تكن مركزاً للحج (١٩) ، يبدو أن هذا الرأي غير مناسب . فقد تخلت قريش عن حقها أو وظفت عشائر ببعض الواجبات في منطقتها أو في المناطق التي تجد قريش أن نفوذها فيها مهما (الأسواق) لأنهم استطاعوا عن هذا الطريق أن تكون سيطرتهم أكثر حيوية ونفوذاً في القبائل ، ويحصلوا على الأمن في أراضيهم . وقد كان هناك سابقة لهذا الأسلوب ، فكان هذا المبدأ مطبقاً سابقاً من قبل حكام الممالك التي على الحدود (٢٠) . وحول اسناد الواجبات في السوق ، نستطيع أن نقيس ذلك من فقرة ذات دلالة جاءت في كتاب الأمكنة للمرزوقي (٢١) : « وكان أشراف العرب يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل أن الملوك كانت ترضخ للأشراف لكل شريف بسهم من الأرباح . فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، إلا عكاظ ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كل أوب » .

تقدم هذه الفقرة فكرة عن العلاقات بين الحكام ورؤساء الأعراب . فقد كانوا يعطون بعض الحصص من الأرباح ، وكان هذا الموقف واضحاً في دومة الجندل وفي هجر وفي صحار وفي دبا وفي الأسواق الأخرى التي كانت تحت سيطرة حكام موالين للممالك حيث تجبى فيها الضرائب (الأعشار) ، وبالطريقة نفسها قلدت قريش تميما وجعلت لها أمر القيادة في سوق عكاظ . ولكن ما كان هذا قائماً على المكافأة الزهيدة ، فقد كانت عكاظ سوقاً حـــرة لا تدفع فيها الضرائب ، وليس لدينـــا اشـــارة إلى هذه المكافأة كيف كانت .

إن تعبير « أئمة العرب » يشير إلى مبدأ التعاون المشترك ، وكأساس فكري فإنه يخدم مبدأ

---

(١٨) انظر في الاجازة :
Von Grunebaum: Muhammadan p. 32-33; Wellhausen: Reste, pp. 57, 75-80.
وانظر حول « أشرق ثبير » أبا مسحل : نوادر ص ٤٥٢ ، وانظر لسان العرب (ثبر ، شرق) .

(١٩) ولهاوزن : Wellhausen: Reste, p. 77.

(٢٠) قارن ابن حبيب : أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٦/٢٢١هـ هارون) ولكن ربما يقرأ « مليك » وليس « ملك » أي ليس بالملك التام) .

(٢١) المرزوقي : الامكنة ٢/١٦٦ .

احترام حرمة مكة والأشهر الحرم ، ومن الواضح أن رضا القبائل كان ضرورياً لتأدية هذا الواجب .

إن السيطرة على الأسواق والاجازة كانت مهمة وضرورية ليست للقبائل وحسب ، بل كانت في مصلحة بعض الحكام أيضاً . يمكن أن يستنتج هذا من رواية هامة رواها السهيلي : « وقال بعض نقلة الأخبار إن ولاية الغوث كانت من قبل ملوك كندة » (٢٢) وقيل إن بني الغوث هؤلاء رحلوا إلى اليمن (٢٣) . إن الروايات التي تذكر هجرة الغوث ابن مر إلى اليمن تشير بوضوح إلى صلاتهم بجنوب الجزيرة العربية ، وطبقا لرواية ، أنه بعد هلاك الصوفة آلت الولاية إلى صفوان بن الحارث بن شجنة من سعد حيث ورثها أقاربه من بعده : « فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد » .

وربما يتذكر أحد أن هذه الأسرة كان لها علاقة وثيقة بآل كندة . كان عوير بن شجنة الذي آوى بعض الأفراد المنهزمين من آل كندة ، وكان قد مدح من قبل امرئ القيس . وكان كرب بن صفوان الذي رفض أن ينضم إلى العشائر الأخرى من تميم في حربهم ضد عامر بن صعصعة التي تدين بالحمس ، في معركة جبلة ، وقد يجازف أحد فيفترض أن هنالك شيئاً من الصدق في هذه الرواية . لقد تعاونت كندة من قريش في حماية القوافل (٢٤) ، ومن الراجح أنه كان لهم تأثير على الأقل في تعيين الرجل أو القبيلة التي تلى الاجازة .

إن شاعراً وزعيما من بني سعد هو الزبرقان بن بدر قال يلوم رجلاً كان قد هجا أبا جهل :

أتدري من هجـــوت أبا حبيب سليل خضـــارم سكنـــوا البطـــاحا
أزاد الركب تـــذكر أم هشامـــا وبيت الله والبـــلد اللقـــاحا (٢٥)

يعبر هذان البيتان عن الصدق والاحترام للارستقراطي القرشي أبي جهل والولاء لمكة .

إن فرع تميم الذي عهدت إليه ولاية القضاء في عكاظ كان في بني مجاشع من دارم ، العشيرة التي لها نفوذ في بلاط الحيرة (٢٦) . والرواية التي نوقشت في هذا البحث تعطينا

---

(٢٢) السهيلي : الروض الانف ١/٨٤ وما بعدها .
(٢٣) انظر ما سبق بحثه حول الغوث بن مر .
(٢٤) قارن محمد بن حبيب : المحبر ص ٢٦٧ حول سوق الرابية في حضرموت : فكانت قريش تتخفر فيها ببني آكل المرار من كندة ، وساد بنو آكل المرار بفضل قريش على سائر الناس » .
(٢٥) ياقوت : بلدان (مكة) .
(٢٦) انظر : Oppenheim — Caskel: Die Beduinen III, 166.

فكرة تقريبية عن كيفية ارتباط عشائر تميم بمكة : لقد ارتبط بعضها بنظام الحمس ، وبعضها بعهود الإيلاف ، وبعضها بالحصول على امتيازات في الأسواق وتأدية فروض الحج ، وبعضها بالاشتراك بالجيش القبلي لحراسة مكة .

ومن المقبول أن نجد في مكة رجالا من تميم حلفاء لقريش ، وأن يزوج زعماء تميم بناتهم لرؤساء الأسر المكية ، هذه الحقيقة ربما تستوجب التأكيد . فطبقاً لبعض الروايات أن قريشا كانت تمتنع من التزوج ببنات القبائل الأخرى . فكانت تماضر بنت الأصبغ الكلبي ، زوجة عبد الرحمن بن عوف ، أول امرأة كلبية تزوجت من قرشي . فلم تكن قريش تتزوج من كلب (٢٧) . أما حول أسرة تميم ، فتؤكد الرواية أن قريشا ارتبطت بالزواج مع هذه الأسرة (٢٨) .

فقد كانت زوجة هشام بن المغيرة الشريف المخزومي هي أسماء بنت مخربة بن جندل ابن أبير بن نهشل بن دارم أم أبي جهل المشهور ، وكانت كذلك أم عبد الله بن أبي ربيعة وعياش بن أبي ربيعة (٢٩) . وتزوج عياش بن أبي ربيعة (٣٠) أسماء بنت سلامة بن مخربة ابن جندل (٣١) . وتزوج عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة هنداً بنت مطرّف بن سلامة بن مخربة (٣٢) . وتزوج عبد الله بن أبي ربيعة ليلى ابنة الزعيم التميمي عطارد بن حاجب بن زرارة (٣٣) . وتزوج أبو جهل ابنة عمير بن معبد بن زرارة (٣٤) . وتزوج عبد الله بن عمر

(٢٧) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٦٧ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ٩٥ ب .

(٢٨) البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٩٨٩ ب : « ... كان شريفا وقد نكحت اليه قريش ... » .

(٢٩) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٣٦ أ ، الجمحي : طبقات فحول الشعراء ص ١٢٣ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٣٥ أ ١٤٠ ب ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣٠١ ، ٣١٧ ، الواقدي : مغازي ص ٨٣ ـ ٨٤ ، أبو الفرج : الاغاني ٢٩/١ وما بعدها ، نقائض ص ٢٠٧ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٩٨٦ ب ، ٨٠٤ أ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ص ٤٩٥ ، البلاذري : أنساب ٢٩٨/١ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ابن حجر : الاصابة ١٠/٨ (رقم ٥٥ نساء) .

(٣٠) نظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ٦١١٨ .

(٣١) ابن هشام : سيرة ٢٧٣/١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ص ٧٠٥ ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٦٧ ، ٣١٩ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ٩٦ أ .

(٣٢) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣١٩ ، ابن سعد : طبقات ٢٧/٥ .

(٣٣) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣١٨ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٤١ أ ، ابن حجر : الاصابة ١٨٢/٨ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٨٠٤ ب .

(٣٤) المصعب الزبيري : المصدر السابق ص ٣١٢ ، الزبير بن بكار : السابق مخطوط الورقة ١٣٥ ب .

ابن الخطاب أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة (٣٥) . وتزوجت خولة بنت القعقاع ابن معبد بن زرارة بن عدس ، طلحة بن عبيد الله ، كان زواجها الثاني من أبي جهم بن حذيفة (٣٦) . وتزوجت ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعى بن سلمى بن جندل بن نهشل ، على بن أبي طالب ، وكان زواجها الثاني من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٣٧) . وتزوج عقيل بن أبي طالب ابنة سنان بن الحوتكية من بني سعد بن زيد مناة (٣٨) .

أما بنات الزبرقان بن بدر فقد تزوجن من : سعد بن أبي وقاص ، المسور بن مخرمة الزهري ، عامر بن أُمية الضمرى ، الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس ، عثمان بن أبي العاص ، الحكم بن أبي العاص ، أُمية بن أبي العاص (٣٩) .

وكان أُمية الأصغر ، وعبد أُميـــة ، ونوفل ، وأمامة أولاد عبد شمس بن عبد مناف ، ولدوا من زوجته عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيـــد منـــاة ، وكان أحفادهم يدعون (العبلات) (٤٠) . وتزوج نوفل بن عبد مناف بن قصي فكيهة بنت جندل بن أبير بن نهشل بن دارم (٤١) . وكانت إحدى زوجات المطلب بن عبد مناف ابن قصي أُم الحارث بنت الحارث بن سليط بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة (٤٢) . وتزوج أُمية بن خلف امرأة تميمية هي سلمى بنت عوف ، ولدت له علي بن أُمية الذي قتل

---

(٣٥) الجمحى : طبقات فحول الشعراء ص ٤٨٨ رقم ٣ .

(٣٦) الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١١٨ أ ، ١٧١ أ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٨٧١ أ ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣٧٢ ، ٢٨١ ، ابن حجر : الاصـــابة ٧١/٨ (رقم ٣٧١) ، ابن سعد : طبقات ١٥٢/٣ ، ١٢٠/٥ ، ١٤٧/٦ .

(٣٧) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٩ أ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ١٥٣ أ ، المصعب الزبيري : المصـــدر السابق ص ٤٤ ، ٨٣ ، ابن حجر : الاصابة رقم ٨٤٠٤ ، ابن ســـعد طبقات ١٩/٣ .

(٣٨) البلاذري : انساب مخطوط الورقة ١٥٤ أ ، ١٥٠ أ .

(٣٩) البلاذري : انساب الورقة ١٠٤٤ أ المصعب الزبيري : السابق ص ١٦٩ .

(٤٠) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١١٦ ، المصعب الزبيري : السابق ص ٩٨ ، مؤرج السدوسي : حذف ص ٣٠ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٣٤٥ ، ٨٠٦ ، أبو الفرج : اغـاني ٨٢/١ .

(٤١) المصعب الزبيري : السابق ص ١٩٨ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٨٠٨ أ (كهيفة بنت جندل ـ وليس فكيهة) ، ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٢١ أ .

(٤٢) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٢٠ ، المصعب الزبيري : السابق ص ٤٤ ، ٨٣ ، ابن حجر : الاصابة رقم ٨٤٠٤ ، ابن سعد : طبقات ١٩/٣ .

في بدر(٤٣) . وتزوج وهب بن عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي ، سعدة بنت زيد بن لقيط من مازن بن عمرو بن تميم (٤٤) . وتزوج حرب بن أمية امرأة تميمية (٤٥) . وتزوج نافع بن طارق بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف غنية بنت أبي اهاب بن عزيز بن قيس بن سويد من ربيعة بن زيد بن عبد بن دارم (٤٦) . وكان أبو أهاب حفيد سويد بن ربيعة الذي قتل ابن ملك الحيرة وهرب إلى مكة ، فأصبح حليفاً لنوفل بن عبد مناف . وكان جد غنية عزيز بن قيس قد تزوج فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف (٤٧) . وتزوج أبو أهاب بن عزيز والد غنية، درة بنت أبي لهب عم النبي(٤٨) . وتزوجت ابنة أبي أهاب عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس (٤٩) وتزوجت حفيدة أبي لهب ، درة بنت عتبة بن أبي لهب ، تميمياً هو أبو هالة هند بن هند بن أبي هالة حفيد خديجة من زوجها الأول (أو الثاني) (٥٠) . وتزوجت ابنة نوفل بن الحارث بن عبد المطلب (٥١) تميمياً هو حنظلة بن الربيع كاتب النبي (٥٢) ، وهو ابن أخت أكثم بن صيفي (٥٣) .

إن جريدة النساء التميميات اللواتي تزوجن رجالاً من أسر قرشية شريفة لا يمكن إدراكها جميعاً ، فيظهر أن هناك عدداً كبيراً من النساء التميميات تزوجن من أبناء الأسر المتميزة في مكة . وهذا يشير إلى العلاقات الوثيقة بين قريش وتميم ، وربما كان المراد من هذه الزيجات تقوية الروابط مع زعماء تميم الذين أسهموا كثيراً في دعم مكانة مكة في المجتمع القبلي .

---

(٤٣) الزبير بن بكار : السابق الورقة ١٧٦ ب ، المصعب الزبيري : السابق ص ٣٨٧ وما بعدها .
(٤٤) الزبير بن بكار : السابق الورقة ١٨٨ .
(٤٥) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٢٣ .
(٤٦) المصعب الزبيري : السابق ص ٢٠٤ .
(٤٧) المصدر السابق والصفحة ، و ص ٤٢٠ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٨٦ أ ، أبو البقاء : مناقب مخطوط الورقة ١٥٠ ب .
(٤٨) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١١٦ ب .
(٤٩) المصعب الزبيري : السابق ص ١٩٣ .
(٥٠) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١١٨ب .
(٥١) انظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ٨٨٢٧ .
(٥٢) ابن الكلبي : السابق الورقة ١١١٨ .
(٥٣) انظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ١٨٥٥ .

مصـــادر ومراجـــع البحث

١ ـ باللغة العربيـــة :

ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة . ط مصر ١٢٨٦ هـ .

: المرصع . ط سيبولد . ويمر ١٨٩٦ م .

الازرقي : أخبار مكة . ط وستنفيلد . ليبزك ١٨٥٨ م .

الاصبهاني ـ أبو نعيم : حلية الأولياء . ج ١ ـ ١٠ ط القاهرة ٣٢ ـ ١٩٣٨ م .

الاصفهاني ـ أبو الفرج : الأغاني . ط دار الثقافة بيروت .

الاصمعي ـ عبد الملك بن قريب : الاصمعيات . ط اهلوارد . ليبزك ١٩٠٢ م .

الأعشي : ديوان . ط جاير . وين ١٩٢٨ (سلسلة ذكرى جب ٦) .

الألوسي : بلوغ الارب . ط القاهرة ١٩٤٠ م .

أبو البقاء ـ هبة الله : المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية .

مخطوط ، المتحف البريطاني ٢٣ ، ٢٩٦ Add. .

البكرى ـ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز : سمط اللآلى . ط عبد العزيز الميمنى . القاهرة ١٩٣٦ م .

: معجم ما استعجم . ط مصطفى السقا . القاهرة ٤٥ ـ ١٩٥١ م .

البلاذري ـ أحمد بن يحيى : أنساب الأشراف . مخطوط عاشر أفندي ٥٩٧ / ٨ استانبول .

الجزء الأول ط محمد حميد الله . القاهرة ١٩٥٩ م .

الجزء الرابع . ط جلو سينجر . القدس ١٩٣٨ م .

الجزء الخامس . ط كويتين . القدس ١٩٣٦ م .

الثعالبي ـ عبد الملك بن محمد بن اسماعيل : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . ط القاهرة ١٩٠٨ م .

: لطائف المعارف . ط دي جونج . ليدن ١٨٦٧ م

الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر : رسائل الجاحظ . ط السندوبي . القاهرة ١٩٣٣ م .

: الحيوان . ج ١ ــ ٧ ط هارون . القاهرة ٣٨ ــ ١٩٤٥ م .
: مختارات فصول الجاحظ . مخطوط المتحف البريطاني ٣١٨٣ Or. .
ابن الجارود : المنتقى . ط حيدر آباد ١٣٠٩ هـ .
جرير ــ ابن عطية الخطفى : ديوان . ط الصاوى . القاهرة ١٣٥٣ هـ .
الجمحى ــ محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء . ط محمود شاكر . القاهرة ١٩٥٢ م .
ابن الجوزي : صفة الصفوة . حيدر آباد ٥٥ ــ ١٣٥٧ هـ .
ابن حبيب ــ محمد : أسماء المغتالين من الأشراف . ط هارون (نوادر المخطوطات ٦) . القاهرة ١٩٥٤ م .
: المحبر . ط الزالحتنستدتر . حيدر آباد ١٩٤٢ م .
: مختلف القبائل . ط وستنفيلد . جوتنجن ١٨٥٠ م .
: المنمق . ط خورشيد أحمد فاروق . حيدر آباد ١٩٦٤ م .
ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ــ ٨ . ط القاهرة ٢٣ ــ ١٣٢٧ هـ .
ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة . ج ١ ــ ٤ ط القاهرة ١٣٢٩ هـ .
ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . ط ليفى بروفنسال . القاهرة ١٩٤٨ م .
: جوامع السيرة . ط احسان عباس وناصر الدين الأسد . ط القاهرة د.ت .
حسان بن ثابت . ط البرقوقي . القاهرة ١٩٢٩ م .
الحطيئة ــ جرول بن أوس : ديوان . ط البرقوقي . القاهرة ١٩٢٩ م .
: ديوان . ط نعمان أمين طه . القاهرة ١٩٥٨ م .
الحلبي ــ على بن برهان الدين : إنسان العيون ج ١ ــ ٣ ط القاهرة ٣٢ ــ ١٩٣٥ م .
حمد الجاسر : نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب . مجلة المجمع العربي بدمشق ١٩٥٠ .
أبو حيان ــ محمد بن يوسف الجباني الأندلسي : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط . ج ١ ــ ٨ ط القاهرة ١٣٢٨ هـ .
الخالديان ــ سعيد ومحمد ابنا هاشم . الاشباه والنظائر . ط محمد يوسف . القاهرة ١٩٥٨ م .
دحلان : السيرة النبوية . على هامش سيرة الحلبي (إنسان العيون) .
ج ١ ــ ٣ ط القاهرة ٣٢ ــ ١٩٣٥ م .

ابن دريد ــ محمد بن الحسن الازدي : الاشتقاق . ط هارون . القاهرة ١٩٥٨ م .
الديار بكرى ــ حسين بن محمد : تاريخ الخميس . ج ١ ــ ٢ القاهرة ١٢٨٣ هـ .
أبو ذر الخشنى : شرح السيرة . ط برونله . القاهرة ١٩١١ م .
الذهبي ــ محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام . ج ١ ــ ٥ . ط القاهرة ٦٧ ــ ١٣٦٩ هـ .
: سير أعلام النبلاء ج ١ ــ ٢ . ط المنجد والأبياري . القاهرة ٥٦ ــ ١٩٧٥ م .
ابن رشيق ــ الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة . ج ١ ــ ٢ ط محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٣٤ م .
الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش وأخبارها . مخطوط بودلى مارش ٣٨٤ .
: جمهرة نسب قريش وأخبارها ج ١ ط محمود شاكر . القاهرة ١٣٨١ هـ .
الزبيري ــ المصعب بن عبد الله : نسب قريش . ط ليفى بروفسال . القاهرة ١٩٥٣ .
الزرقاني : شرح المواهب اللدنية . القاهرة ٢٥ ــ ١٣٢٨ هـ .
الزمخشري ــ محمود بن عمر : ربيع الأبرار . مخطوط المتحف البريطاني ٦٥١١ Or. .
السجستاني ــ أبو حاتم سهل بن محمد : كتاب المعمرين . ط كولد زيهر . ليدن ١٨٩٩ م .
السدوسي ــ مؤرج بن عمرو بن الحارث : حذف من نسب قريش . ط صلاح الدين المنجد . القاهرة ١٩٦٠ م .
ابن سعد ــ محمد بن سعد بن منيع الزهري : الطبقات الكبرى ج ١ ــ ٨ ط بيروت ١٩٦٠ م.
ابن سعيد : نشوة الطرب . مخطوط توبنجن .
السهيلي ــ عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي : الروض الأنف . ج ١ ــ ٢ ط القاهرة ١٩١٤م.
السيوطي ــ عبد الرحمن بن أبي بكر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور . ج ١ ــ ٦ . ط طهران ١٣٧٧ هـ .
ابن الشجري ــ هبة الله بن علي : الحماسة . ط حيدر آباد ١٣٤٥ هـ .
ابن شرف : رسائل الانتقاد (ضمن رسائل البلغاء) . ط محمد كرد علي القاهرة ١٩٤٦ م .
الشهرستاني ــ محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل . ط كرتون . لندن ١٨٤٦ م .
الطبراني ــ سليمان بن أحمد : المعجم الصغير . ط دهلى ١٣١١ هـ .
الطبرسي ــ الفضل بن الحسن : مجمع البيان ج ١ ــ ٣٠ ط بيروت ١٩٥٧ م .

الطبري – محمد بن جرير : تاريخ الأُمم والملوك ج ١ – ٨ ط القاهرة ١٩٣٩ م .
الصقلي – ابن ظفر : أنباء نجباء الأبناء . ط مصطفى القباني . القاهرة بلا تاريخ .
الضبي – المفضل بن محمد : أمثال العرب . ط القسطنطينية ١٣٠٠ هـ .
: المفضليات . ط لايل . اوكسفورد ١٨ – ١٩٢١ م . و ط شاكر وهارون القاهرة ١٩٥٢ م .
العباسي – عبد الرحيم بن أحمد : معاهد التنصيص . ط القاهرة ١٣١٦ هـ .
ابن عبد البر – يوسف بن عبد الله النمري : الانباه على قبائل الرواة . ط القاهرة ١٣٥٠ هـ .
: الاستيعاب في معرفة الأصحاب . ط حيدر آباد ١٣٣٦ هـ .
ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ – ٤ ط القاهرة ١٩٣٥ م .
أبو عبيد : كتاب الأموال . ١٣٥٣ هـ .
أبو عبيدة – معمر بن المثنى : نقائض جرير والفرزدق . ط بيفان . ليدن ١٩٠٥ – ١٩١٢ م .
العجاج – عبد الله بن رؤبة : ديوان . ط اهلوارد . برلين ١٩٠٣ م .
ابن العربي : محاضرات الأبرار . ج ١ – ٢ ط القاهرة ١٩٠٦ م .
العسكري – أبو هلال الحسن بن عبد الله : ديوان المعاني . ج ١ – ٢ ط القاهرة ١٣٥٢ هـ .
العصامي : سمط النجوم العوالي . ط القاهرة ١٣٨٠ .
الفاسي – محمد بن عبد الله بن على : شفاء الغرام . ط وستنفيلد . ليبزك ١٨٥٩ . و ط القاهرة ١٩٥٦ م .
الفاكهي : تاريخ مكة . مخطوط ليدن ٤٦٣ OR .
الفرزدق – أبو فراس همام بن غالب : ديوان . ط الصاوي . القاهرة ١٩٣٦ م .
ابن الفقيه – أحمد بن محمد الهمذاني : كتاب البلدان . ط دي غوية . ليدن ١٨٥٨ م .
الفيروزابادى – محمد بن يعقوب : القاموس المحيط . ط الحلبي مصر ١٩١٣ .
القاسمي – ظافر : الإيلاف والمعونة غير المشروطة . مجلة المجمع العلمي العربي دمشق العدد ٣٤ .
القالي – اسماعيل بن القاسم : ذيل الأمالي والنوادر . ط عبد العزيز الميمني . القاهرة ١٩٢٦ م.
ابن قتيبة – عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء . ط السقا . القاهرة ١٩٣٢ م .
: المعـــارف . ط القاهرة ١٩٣٥ م .

: المعـــاني الكبير ج ١ ــ ٣ ط حيدر آباد ١٩٤٩ م .
القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ط القاهرة ٣٥ ــ ١٩٤٠ م .
القزويني ــ محمد حسين : شرح شواهد مجمع البيان . ط طهران ١٣٣٨ هـ ش .
القسطلاني : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري . ط القاهرة .
القمي : غرائب القرآن (على هامش تفسير الطبري) . ط بولاق ٢٣ ــ ١٣٢٩ هـ .
ابن كثير ــ اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . ج ١ ــ ١٤ ط القاهرة ٥١ ــ ١٣٥٨ هـ .
الكلاعى ــ أبو الربيع سليمان بن سالم : كتاب الاكتفاء . ط ماس . الجزائر ١٩٣١ م .
ابن الكلبي ــ هشام بن محمـــد : جمهـــرة النسب . مخطـــوط المتحف البريطـــاني Add. ٢٣٢٩٧ .
لبيد بن ربيعة العامري : ديوان . ط احسان عباس . الكويت ١٩٦٢ م .
المبرد ــ محمد بن يزيد : عدنان وقحطان . ط عبد العزيز الميمني . القاهرة ١٩٣٦ م .
المجلسي : بحار الأنوار . ط ١٣٠٢ هـ . و ط طهران طبعة جديدة .
مجهول المؤلف : سير الملوك . مخطوط المتحف البريطاني رقم Add. ٢٣٢٩٨ .
المرزباني ــ محمد بن عمران : معجم الشعراء . ط كرنكو . القاهرة ١٣٥٤ هـ .
: نور القبس . ط زلهيم . فسبادن ١٩٦٤ م .
المرزوقي ــ أحمد بن محمد بن الحسن : الأزمنة والأمكنة . ج ١ ــ ٢ ط حيدر آباد ١٣٣٢هـ .
: شرح ديوان الحماسة . ط أحمد أمين وهارون . القاهرة ١٩٥٣ م .
أبو مسحل ــ عبد الوهاب بن حريش : النوادر . ط عزة حسن . دمشق ١٩٦١ م .
المسعودي ــ علي بن الحسين : مروج الذهب . ط محي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٧ هـ .
المغـــربي ــ الوزيـــر الحسين بن عـــلي : الإ ينـــاس بعلـــم الإ نسان . مخطـــوط المتحف البريطاني OR ٣٦٢٠ .
مقاتل : تفسير الخمسمائة آية . مخطوط المتحف البريطاني ٦٣٣٣ .
المقدسي ــ مطهر بن طاهر : البدء والتاريخ . ط هوارت . باريس ١٨٩٩ ــ ١٩١٩ م .
ابن منظور ــ محمد بن المكرم : لسان العرب . ط بولاق ١٣٠٠ هـ .
الموصلي : غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل . مخطوط كمبرج رقم ٣٣ Qq .
النجيرمي : إيمان العرب . ط محب الدين الخطيب . القاهرة ١٩٢٨ م .

ابن هشام – أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية ج ١ – ٤ . ط السقا والابياري وشلبي. القاهرة ١٩٥٥ .
الهمداني – الحسن بن أحمد : الإكليل . مخطوط فاكسمل برلين ١٩٤٣ م .
: الإكليل . ط برلين ١٩٤٣ م .
الواقدي – محمد بن عمر : المغازي . ط فون كريمر . كلكتا ١٨٥٦ م .
ابن ولاد – أحمد بن محمد : المقصور والممدود . ط برونله . لندن ١٩٠٠ م .
ياقوت – ابن عبد الله الرومي الحموي : معجم البلدان . ج ١ – ٨ . القاهرة ١٩٠٦ م .
اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : تاريخ . ج ١ – ٣ ط النجف ١٣٥٨ هـ .

ب – باللغات الاوربيـة :

Arafat W.: An interpretation of the different accounts of the visit of the Tamim delegation to the Prophet in A.H. 9. BSOAS 1955.
Birkeland H. The Lord Guideth, OSLO 1956.
Buhl F.: Das Leben Muhammeds, trans. H.H. Schaeder, Heidelberg, 1955.
Caetani L.: Annali dell' Islam, I-II Milano 1905-1907.
Grunebaum G. Von: Muhammadan Festivals, New York, 1951.
Guillaume A.: The Life of Muhammad, Oxford University Press, 1955.
Hamidullah M.: "al-Ilaf au les rapports économico-diplomatiques de la Mecque pré-Islamique", Mélanges Louis Massignon, II, p. 293 seq.
———,: Muslim Conduct of State, Lahore, 1961.
———,: Le Prophéte de l'Islam, Paris, 1959.
Nöldeke T.: Geschichte der Perser und Araber Zur Zeit der Sassaniden, Leiden, 1879.
Oppenheim M. — Caskel W. Bräunlich E.: Die Beduinen, I-III, Wiesbaden, 1939-1952.
Rathjens C.: Die Pilgerfahrt nach Mecca, Hamburg 1948.
Rothstein G.: Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira, Berlin, 1899.
Thilo U.: Die Ortsnamen in der altarabischen Poesie, Wiesbaden, 1958.
Vida G. Levi della: "Pre-Islamic Arabia" in N.A. Faris (ed.), The Arab Heritage, Princeton, 1944.
Wolf E.R.: "The Social Organization of Mecca and the Origins of Islam", South-Western Journal of Anthropology (1951), 330-337.
Wellhausen J.: Reste arabischen Heidentums, Berlin 1887.